الباب الرابع

الحقوق الزوجية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

قوامة الرجل على المرأة

أولاً : قوامة الرجل على المرأة فى ظل الإسلام :

ولهُن مثل الذى عليهن بالمعروف :

إذا كانت الشريعة الإسلامية طلبت ـ مُحافِظَةً على هناءة الزوجية وسعادتها ـ أن يسبقها التَّعَرُّف بين الزوجين ؛ لأنه أحْرَى أن يُؤْدَمَ بينهما ، فإن القرآن الكريم بالغَ فى التوصية بِحُسْنِ المعاشرة ، والقيام بواجب الزوجية من الجانبين ؛ تنمية لتلك الرابطة وصوناً لها عن الضعف والانحلال ، ولا نجد فى أى تشريع مثل هذه القاعدة الجليلة العظيمة التى جعلها القرآن الكريم أساساً للحياة الزوجية ، وهى قوله تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

قال الإمام الشيخ محمد عبده :

« هذه الدرجة التى رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دينٌ سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده . وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة أَنْ بالغت فى احترام النساء وتكريمهن (من وجهة نظرها) وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم ـ لا تزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها . ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية » .

قال ابن عباس :

لهن من حُسْنِ الصُّحْبَة والعِشْرَة بالمعروف مثل الذى عليهن من الطاعة لأزواجهن .

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٢٨ .

وللرجال عليهن درجة :

أما الدرجة التى جعلها الله فى الآية نفسها للرجال على النساء والتى قال تعالى عنها ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) فهى درجة الإنفاق والرياسة البيتية الناشئة من عهد الزوجية ، وهى درجة القوامة التى ذكرها الله تعالى فى سورة النساء فى قوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٢) .

وقال ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ أى : فى الفضيلة فى الخَلْق ، والخُلُق والمَنْزِلَة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح . وقال القرطبى : أى منزلة ، فزيادة درجة الرجل بعقله وقُدرته على الإنفاقِ وبالدية ، والميراث ، والجهاد . درجة تقتضى التفضيل ، وتشعر بأن حق الزوج عليها أوْجَبُ من حقها عليه ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ : « لو أمرتُ أحدًا بالسجود لغير الله لأَمَرْتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لمَا فَضَّلَهُ الله عليها » (٣) .

وفى قوله ﷺ : « لِمَا فَضَّلُه الله عليها » ، اللام فى قوله : « لما» للتعليل ، و « ما » مصدرية ، والتقدير : من أجل تفضيل الله إياه عليها بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .

أما ولا سبيل لأحد من العباد أن يسجد لأحد فليكن قلب الزوجة مفعماً بشعور الحمد والشكر والتقدير لزوجها .

وقال ابن عباس : الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حُسن العِشْرَة ، والتوسع للنساء فى المال ، والخُلق .

---

(١) سبق تخريجها .

(٢) سورة النساء ـ من الآية ٣٤ .

(٣) رواه أبو داود والحاكم .

وجاء سؤال فى كتاب « رأى الدين بين السائل والمجيب» ، للدكتور محمد البهى :
ما هى الدرجة فى قوله تعالى :

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

فأجاب بأن هذه الآية تعالج وضعاً فى العلاقة الزوجية ، وهو الوضع الذى يُطَلِّقُ فيه الزوج زوجته . ولا شك أن الزوجة أثناء قضاء عِدَّتِها بعد أن طُلقت من زوجها تكون فى حالة توتر وقلق نفسى على مستقبلها ومستقبل ولدها ـ إنْ كان لها ولد ـ وفى هذا الوقت بالذات أجاز الإسلام للزوج مراجعة زوجته وإعادة العلاقة الزوجية بينهما ، وجعله أحق بذلك من أى رجل أخر يتقدم لخطبتها . وفى هذه الحالة يقرر القرآن الكريم من جديد أن تكون الحقوق والواجبات فيما يضمن حُسن المعاملة والعشرة بينهما متماثلة ، كما هو شأن الزواج وطبيعته ، ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . ثم ما جاء بعد تقرير المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات من قول : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ ، هو زيادة فى حُسْن المعاملة ، طَلَبَها القُرآن الكريم من الزوج خاصة ، فالقرآن لم يكتفِ بالمماثلة بين الزوج والزوجة ، وأن يكون مايأتى به الزوج فى حُسن المعاملة مُساوِياً تماماً لما تأتى به الزوجة ، بل ينتظر من الزوج أكثر من المماثلة فيما يعطى هو ويقدم لزوجته لا فيما يأخذه منها . وذلك هو الدرجة فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ فالدرجة إذن مَرْتَبَة فى حُسن المعاملة وليس فى الغلظة فيها . فخُلُق المؤمن على الإطلاق هو خُلُق المحسن الذى يُعطِى من نفسه ومروءته وما له أكثر مما يأخذ من غيره ، والرجل قبل المرأة فى ذلك . فالدرجة التي تسندها الآية إلى الرجال ليست درجة السيادة ، ولا درجة الامتياز ، وإلاَّ كان عقد الزواج غير متكافىء ، ولا متماثل ، وعدم التكافؤ ـ أو عدم المماثلة ـ يُبْطِلُ أى عقد فى الإسلام ، ولكن المراد بالدرجة : درجة الإنسانية فى المعاملة ، درجة التهذيب والتفوق فى حُسن العشْرة ، فينتظر من الرجل مع ذلك أن

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ٢٢٨ .

يكون أَسْخَى فى معاملته ، وأن يكون محسنًا ، وألا يكون حرفيًّا ، وإنما يعطيها أكثر مما يأخذ منها .

وقد يكون فى قوله تعالى : ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ دون أن يقول : « بما فضلهم » كما قال فى الإنفاق ، ما يرشد إلى أن هذا التفضيل ليس إلا كتفضيل بعض أعضاء الشخص الواحد على البعض الآخر ، وأنه لاغَضاضَة فى ذلك مادام أن الخالق العظيم اقتضَى أن يكون الرجل فوق المرأة فى القوة والقدرة على الكَسْب ، واحتمال المشاق ومتاعب الحياة ـ وليس التفضيل بمنتقص أَحَدًا قَدْرَهُ عند الله سبحانه، وإنما هو تفضيل قضت به طبيعة الاجتماع ؛ ليقوم الناس فى درجات يخدم بعضها بعضاً ، هذه هى درجة الرجال على النساء ، وهى درجة معروفة لكل من يرأس مجتمعاً ، ولو كان مجتمعاً صغيراً كالأسرة ، حتى تنتظم مصالح الأسرة ، وتستقر بعيدة عن الفوضى والاضطراب .

إن تدبير شئون الأسرة وما ينتج عنها من نسل ، وما يستتبعه من تبعات ، مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة ، يحتم وجود رياسة فى الأسرة يكون رأيها الرأى الأخير عند اختلاف الآراء ، والرجل هو المسئول الأول عن حياة الأسرة ، وعليه وحده يقع عبء تدبير نفقاتها ، وتوفير أسباب الرفاهية لها . كما أن الرجل يعتمد على الفكر والعقل ، أما المرأة فقابليتها للانفعال الشديد حقيقة نفسية ، كما أنها تكون عرضة لموجات الانفعال الطارىء المتطرف ، فهى تعتمد على العاطفة .

وعندما نتساءل : أيهما أجدر أن تكون وظيفة القوامة والرياسة بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟ إن الجواب البديهى هو الفكر ؛ لأنه هو الذى يدبر الأمور فى غيبة عن الانفعال الحاد ، ومن ثم كان من الطبيعى أن تكون الرياسة والقوامة للزوج لا للزوجة .

قوامة الرجل : حكمتها وضرورتها :

قال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ (١)

فما هى القوامة ؟ وما الحكمة منها ؟ وما هى ضرورتها ؟

القوامة : معناها القيادة ، والرعاية ، والسند ، والملجأ ، والحصن ، والأمن ، وذلك واضح من قوله تعالى :

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (٢) .

وهذه القوامة ـ كما أوضحنا ـ تتفق وطبيعة الرجل ، ويبدو ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ وهذا التفضيل فى التكوين الجسمى ، وفى قوة التحمل على القتال والحروب ، ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ؛ ذلك لأن على الرجل مسئولية الإنفاق ، فهو مكلف إياه مِنْ قِبَلِ الله تعالى ، كما أنه مكلف المهر ، ومكلف اليتامى فى الأسرة ، ومكلف الأخت المطلقة أو الأرملة ، وابن الأخت ، وابن الأخ ، كما أن الرجل مكلف الأب والأم . قال ابن كثير فى هذه الآية :

« أى : الرجلُ قيم على المرأة ، أى هو رئيسها وكبيرها ، والحاكم عليها ، ومؤدبها إذا اعْوَجَّتْ » .

وقال ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أى لأن الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك رياسة الدولة ، لقول النبى ﷺ : « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » (٣) .

وقال ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (٤) .

أى من المهور والنفقات والكلفة التى أوجبها الله عليهم فى كتابه وسنة نبيه ﷺ ،

---

(١) سورة النساء ـ من الآية ٣٤ .

(٢) سورة المائدة ـ من الآية ٩٧ .

(٣) رواه البخارى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ١ .

فالرجل أفضل من المرأة فى نفسه ، وله الفضل عليها ، فناسب أن يكون قيماً عليها [٢].

وقال المرحوم عباس محمود العقاد :

« والقوامة فى هذه الآية الكريمة مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض الله عز وجل على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة ، وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لما هو دونه ، وليس مرجعه إلى مجرد إنفاق المال ، وإلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة مالاً يغنيها عن نفقة الرجل ، أو يمكنها من الإنفاق عليه .

وقال الشيخ محمود شلتوت رحمة الله عليه :

« وحُكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحُكم البَيِّنُ من تاريخ بنى آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع العامة وبعد نشوئها »[١] .

- كما أن قوامة الرجل على المرأة تتفق وطبيعة المرأة التى يجب أن يكون الرجلُ لها سندًا وملجأً وحصناً ضد الزمن ، فهناك الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة ، ولا يمكن المساواة بينهما ؛ لأن ذلك مخالف للناموس الطبيعى ، فيؤدى إلى عدم التوازن ، حيث يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢] .

فمنح الله تبارك وتعالى كل جنس صفات ومزايا يتميز بها من غيره تعينه على القيام بواجبه الذى خلقه الله من أجله ، فقد خلق الله الذكر والأنثى ليكمل كل منهما الآخر، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٣]

---

(١) المرأة فى القرآن ـ للشيخ محمود شلتوت .

(٢) سورة النساء ـ الآية ٣٢ .

(٣) سورة الملك ـ الآية ١٤ .

ولذلك يجب ألاَّ تتشبه المرأةُ بالرجل ، حيث يقول رسول الله :ﷺ : « لعَن الله المُتشبهات من النساء بالرجال ، والمُتَشبهين من الرجال بالنساء » .

وأمام قوامة الرجل على المرأة : يجب على الزوج نفقة الزوجة المطيعة ، وفرض النفقة على الزوج دون الزوجة ليتحقق له ولبقية أفراد الأسرة الارتياح والاستقرار والاطمئنان ، فإن الزوج الذى يعود من عمله ليجد زوجته مرهقة متعبة من عناء العمل لن يجد أى ارتياح نفسى فى داخل الأسرة ، وأى ارتياح يمكن أن يشعر به الزوج الذى يعود من عمله ليجد أن الطعام غير مُعَدٍّ ، وتسيطر الفوضى وعدم النظام على جو البيت كله ، مما يجعله يعيش مع زوجته فى إرهاق وتعب مستمرين دون أن يستطيعا أن يتفرغا للأولاد وتربيتهم ، ودون أن يَأْنَسَا بمداعبة الأطفال الذين هم زهرة الحياة ، وبراعم الأسرة التى ستتفتق عن ورود شابَّة تعبق عطراً وتزهو جمالا ؟ !

إنَّ إلقاء مسئولية النفقة على كاهل الرجل وحده يعنى العيش السعيد له ولأسرته ، كما يعنى أيضاً توفير حياة زوجية هادئة منظمة مستقرة دون أن يسيطر عليها الفوضى والإرهاق والتعاسة .

إن الرجل والمرأة كلاهما مِنْ خَلْق الله ، سبحانه لا يريد أن يظلم أحداً مِنْ خَلْقه ، فهيأ كُلاً منهما وأعده لوظيفة خاصة ، ومنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة ، فجعل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرة الاتصال بينها وبين الرجل ، وهى وظائف ضخمة وخطيرة . وكان عدلاً أن تُمنح المرأة فى تكوينها العضوى والعصبى والعقلى والنفسى ما يعينها على أداء وظيفتها تلك . وزودت المرأة فيما زودت به من الخصائص بالرقة ، والعطف ، وسرعة الانفعال ، والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة ، وهذه الخصائص غائرة فى التكوين العضوى والعصبى والعقلى والنفسى للمرأة .

وكان عدلا أن يُنَاطَ بالرجل توفير الحاجات الضرورية وتوفير الحماية كذلك للأنثى ، ولا يحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها فى آن واحد . وكان عدلا كذلك أن يُمْنَحَ الرجل من الخصائص فى تكوينه العضوى والعصبى والعقلى والنفسى ما يعينه على أداء وظائفه هذه . وزود الرجل فيما

زُوِّدَ به من الخصائص بالخشونة والصلابة ، وبطء الانفعال والاستجابة ، واستخدام الوعى والتفكير قبل الحركة والاستجابة ؛ لأن وظائف الرجل كلها تحتاج إلى قَدْرٍ من التروِّى قبل الإقدام وإعمال الفكر ، والبطء فى الاستجابة .

وهذه الخصائص الغائرة فى تكوين الرجل العضوى والعصبى والعقلى والنفسى تجعل الرجل أقدر على القوامة من المرأة . كما أن تكليفه الإنفاق يجعله بِدوره أَوْلَى بالقوامة ، فهى قوامة لها أسبابها من التكوين والاستعداد ، ولها أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات بين الرجل والمرأة بعدالة ، وتكليف كل منهما الجانب الميسر له ، المُعان عليه من الفطرة ، وليس معنى ذلك إهدارَ رَأْيِ المرأة ، بل الأمر كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وهذه الدرجة درجة تنظيم لا تسخير ، فلابدمن رئاسة وقيادة لكل تنظيم يتم فى شئون الحياة ؛ لذلك فإن قوامة الرجل على المرأة تتضمن أمرين هامين ضروريين :

(أ) قوامة مادية حسية : تتمثل فيما يقوم به الرجل من إنفاق ، وما يأخذ على عاتقه توفير حاجات المرأة المادية وغير المادية بصورة تكفل لها الراحة والسعادة ، وتشملها بصنوف الرعاية والحماية والمدافعة .

(ب) قوامة معنوية : بما تتضمن من هيمنة ورياسة ، وهى رياسة متجهة إلى خَيْرِ مَنْ يدخلُ فى نطاقها ويحقق السعادة له ، وهى ليست رياسة الأمر والنهى ، وإنما هى رياسة الإرشاد ، والتوجيه ، والهداية التى تجعل من التفاهم والإقناع وسيلتها الفعالة .

فالقوامة تكون قائمة على الرحمة والمودة والمحبة بينهما ، وليست بسلطان مفروض ، وهى تدبير وإرشاد وليست سيطرة واستبداداً .

فرياسة الرجل لزوجته لا تتضمن ضيقاً عليها ، أو مساساً بحريتها ، أو نقصاً من حقوقها المعادلة لحقوق الرجل ، أو استبداداً بها ، أو بإدارة البيت ، ولكنها وسيلة لابد منها لحُسن سير الأمور فى الأسرة . فالرياسة التى تقابل التبعة لا تنفى المشاورة ولا المعاونة ، وإنما الرياسة الناجحة هى التى تقوم على التفاهم الكامل ، والتعاطف المستمر. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأهله ، وأنا خَيْرُكُم لأهلى »[1] .

فقوامة الرجل على المرأة لا تعنى القهر والحجر والاستبداد ، ولا تعنى إهدار شخصية المرأة وأهليتها ومقومات إنسانيتها ، وإنما هى سُلطة أُعطيت للرجل مقابل المسئولية التى حملها تطبيقاً للقاعدة الشرعية التى تقول « السلطة بالمسئولية » ، فهى رياسة المسئوليات لا التحكم الذى يجور على حقوق العدل والمساواة والشورى ، رياسة تتلقى عبء النفقة وعبء الحماية على الرجل . وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث يقول : « ما أَكْرَمَ النساءَ إلا كَرِيمٌ ولا أهانَهُنَّ إلا لئيم » .

ثانياً: آراء من الشرق والغرب حول مساواة المرأة بالرجل :

رأى مصطفى صادق الرافعى :

يقول الأديب المرحوم مصطفى صادق الرافعى مخاطباً المرأة المسلمة : « احْذَرِى وأَنتِ النجمُ الذى أَضاء منذ النبوة أنْ تُقَلِّدِى هذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل ، إنَّ المرأة المُسْلمة هى استمرار متصل لأدب دينها الإنسانى العظيم ، هى دائماً شديدة الحفاظ على حياتها الأَسَرية والزوجيةْ ، فإن قانون حياتها دائماً هو قانون الأمومة المُقَدس .

إن المرأة المسلمة هى الطُّهْرُ والعِفَّة ، هى الوفاء والأَنَفَة ، هى الصبر والعزيمة ، هى كل فضائل الأم ، فما هو طريقها الجديد فى الحياة الفاضلة إلا طريقها القديم بعينه .

أيتها المرأة المسلمة :

أحذرى تَهَوُّسَ المرأة الأوربية فى طلب المساواة بالرجل ، لقد سَاوَتْهُ فى الذهاب إلى الحَلاَّق ، ولكن الحَلاَّق لم يجد فى وجهها اللحية ، إن المرأة خُلِقَت لتحبب الدنيا إلى الرجل ، فكانت بمساواتها مادة تبغيض ، والعجيب أن سر الحياة يأبى أبداً أن تتساوى المرأة بالرجل إلا إذا خَسِرْتُه،والأعجب أنها حين تخضع يرفعها هذا السر ذاته عن المساواة بالرجل إلى السيادة عليه ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال عن فضل الأم :

---

(١) رواه الترمذى .

. . . أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك . وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه «الجنة تحت أقدام الأمهات» .

ويقول المفكر الغربى ألكسيس كاريل فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » :

« إن أساس المشاكل عند الحضارة الغربية أنهم يُشَرِّعُونَ ويُخَطِّطُون لكائن يجهلون حقيقته ، ويجهلون خصائصه ، فضلاً عن سر وجوده ، وغاية حياته ، فلما لم يعرفوه كما هو أَخْطَئُوا فى كل شىء : فى تعليمه ، وتربيته ، وتثقيفه ، والتشريع له ؛ وذلك لأن الأمر أكبر من أن يُحيط به علمهم المحدود ، فلا يعلمُ الصَّنْعَةَ إلا صانعها ، ولا الإنسان إلا خالقه ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١) . وكما أخطأت الحضارة الغربيةفَهْمَ الإنسان الفرد ، أخطأت فهمه باعتباره جنسين ذكراً وأنثى .

لقد حاولت الحضارة الغربية أن تذيب الفوارق بين الرجل والمرأة ولم تراع ما بينهما من الفوارق الفطرية والوظيفية . لقد أخرجت الحضارة الغربية المرأة إلى الشوارع والمعامل والمكاتب لتعمل كما يعمل الرجل ، وتعانى ما يعانى الرجل ، كما علمتها ما يتعلم الرجل ، وللأسف نقلنا ذلك إلى بلادنا ، فأغفلنا كل ما جاء به ديننا ، واستقرت عليه حياتنا ، وللأسف أيضاً نواصل السير فى طريق الخطأ والضلال . واليوم تستدرك الحضارة الغربية على نفسها بعد أن استشرى الفساد ، وعَمَّ الاضطراب ، وخَيَّمَ الشقاء والتعاسة على المجتمع حين تنكرت لفطرة الله العزيز الحكيم .

ويواصل الكسيس كاريل قوله :

« إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء التناسلية ، وعن وجود الرَّحِم والحَمْل ، أو عن اختلاف طريقة التربية فحسب ، وإنما هذه الفروق ناشئة عن سبب جد عميق ، وهو تأثر الأجهزة العضوية بكاملها بالمواد الكيمياوية ، ومُفرزات الغدد التناسيلة ، وإنَّ جَهْلَ هذه الوقائع الأساسية هو الذى جعل رواد

---

(١) سبق تخريجها .

الحركة النسائية يأخذون بالرأى القائل بأن كلا الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة ، وأن يمارسوا أعمالاً متماثلة .

والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقاً عن الرجل ، فكل خلية فى جسمها تحمل طابع جنسها ، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ، ولا سيما الجهاز العصبى ، وأن القوانين الفسيولوجية كقوانين العالم الفلكى ، لا سبيل إلى خَرْقِهَا ، ومن المستحيل أن تستبدل بها الرغبات الإنسانية ، ونحن مضطرون إلى قبولها كما هى . فالنساء يجب أن يُنَمِّينَ استعدادهن فى اتجاه طبيعتهن الخاصة دون أن يُحَاوِلْنَ تقليد الذكور » .

ويقول أيضاً الكسيس كاريل فى كتابه :

« ويغفل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة ، مع أن هذه الوظيفة ضرورية لكمال نموها ؛ ولذلك كان من الحُمق والسخف صرف المرأة عن الأمومة ؛ لذلك لا ينبغى أن يتلقى الفتيان والفتيات ثقافة واحدة ، ولا ينبغى أن يكون لهم أسلوبٌ واحد فى الحياة ولا مَثَلٌ أعلى واحد . وعلى المربين أن يدركوا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والأنثى ، وما بين دَوْرَيْهِمَا الطَّبيعيَّيْنِ ، فبين الجِنْسَيْنِ فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب مراعاتها عند بناء العالم المتمدن »[1] .

وهكذا أثبت تحرر المرأة فى الحضارة الغربية وأوطانها عجزها وفشلها ، وإفلاسها وتناقضها ، ومن باب أولى أن تثبت عجزها وفشلها فى أوطاننا الإسلامية ؛ لأنها ليست نابعة من عقيدتنا وتراثنا الروحى والحضارى ، بل هى شىء دخيل فُرِضَ علينا ولَمْ يعبر عن ذاتيتنا ، ولن يحقق آمالنا ، ولن يسعد مجتمعنا .

مناقشات الماركسيين حول مساواة المرأة بالرجل :

ويذكر العَالِمُ الإسلامى الشيخ أبو الأعلى المودودى فى كتاب « الحجاب » بَعْضَ المناقشات التى تعرَّضَتْ لها النظرية الماركسية حول عدم المساواة الفطرية بين الرجل والمرأة .

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ، لألكسيس كاريل .

يقول أنطون بنثملان العالم الشيوعى فى كتاب له : « هنا أمر واقع هام لا يمكننا أن نتجاهله ، هو : أن لا مساواة بين الجنسين فى علم الأحياء ، ولم تكلفهما الفطرة نفس الأعباء » .

واستنتج الطبيب الشيوعى فواستشفسكى من تجاربه الطويلة ومن مشاهداته الدقيقة « أن المرأة تضمحل لديها قوة الجهد العقلى والتركيز الفكرى أيام الحيض ، وأنها فى هذه الفترة تكون تابعة لحركاتها الاضطرارية ، وتنقصها جدًّا قوة استعمال إرادتها للإقدام على عَمَل أو تَرْكِهِ » .

ويقول الطبيب الشيوعى ريبريف عن فترة الحمل : « فى هذه المدة يبقى المجموع العصبى للمرأة مختلا على أشهر متعددة ، ويضطرب فيها الاتزان الذهنى ، وتكون عناصرها الروحية فى حالة فوضى دائمة » .

وتقول عالمة الاجتماع الفرنسية إيفلين سوليرو ، فى كتاب لها عن المرأة : أما بخصوص العاطفة ، فإن مصدرها يرتكز فى جانبى الدماغ لدى المرأة ، فى حين لا ترتكز إلا فى جانب واحد من دماغ الرجل ، أما الجانب الآخر فهو متفرغ للأعمال الجدية ، وهذا ما يفسر الانطباع السائد بأن المرأة تخلط بين العقل والعاطفة » .

وفى بحث حول البيئة والجريمة للمستشار المرصفاوى يقول :

« إن المرأة أقل من الرجل فى قوة جسمها حتى لقد قرر بعض الباحثين مَدَاها بنصف قوة الرجل ، ووصل إلى أن حجم إجرام المرأة لا ينبغى أن يتعدى نصف حجم إجرام الرجل ، ولقد ترتب على هذا الفرق فى القوة الجسمانية أن الجرائم التى ترتكبها المرأة لا تحتاج فى تنفيذها إلى العنف » .

الفصل الثانى

من حقوق الزوجة على زوجها

إذا كانت القاعدة العامة فى الشريعة الإسلامية هى مساواه المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات ـ اللهم إلا ما اسْتُثْنِىَ بنص صريح ـ فإن كل حق للزوجة على زوجها يقابله واجب عليها إزاءه ، كما أن كل حق للزوج على زوجته يقابله واجب عليه إزاءها . والقرآن الكريم إذ يقول : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ إنما يُذَكِّرُ الزوج بما يجب عليه فى علاقته بزوجته ، ومما يجب عليه ليست فقط : المساواة فى الواجبات والحقوق ـ وهى واجبات ليست متماثلة فى نوعها وإنْ تساوت فى تقابُل بعضها لبعض ـ وإنما زيادة فيما يجب على الزوج نحو زوجته ، وفيما يحق للزوجة على زوجها . هذه الزيادة فى واجب الزوج هى الدرجة التى أشير إليها بقوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ . هذه الزيادة هى الإحسان ، والتهذيب فى المعاملة للزوجة ، وهى المحافظة على شعورها الإنسانى وعلى كرامتها الإنسانية ، وهى إشعارها بذاتيتها وكرامتها . فالقرآن الكريم لم يكتف بالمُماثَلةَ بين الزوجة والزوج وأن يكون ما يأتى به الزوج فى حُسن المعاملة مساوياً تماماً لما تأتى به الزوجة ، بل ينتظر من الزوج أكثر من المماثلة فيما يعطى هو ويقدم لزوجته ، لا فيما يأخذه منها . آنئذ ستكون الزوجة أكثر طواعية ، وسيجد الزوجُ السَّكَنَ والمَودَّة عندها .

أولاً : حُسن المعاشرَة :

الزواج عهد وثيق ربط الله به بين الرجل والمرأة ، وقد صور القرآن الكريم مبلغ قوة هذا الرباط بين الزوجين فقال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ١٧٨ .

وهو تعبير يوحى بمعانى الاندماج والستر يحققها كل منهما لصاحبه .

ويقول الله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وكلمة عسى التى هى للرجاء ـ تجعل الأمل فى الصبر على أخطاء الزوجة موضع رضا الله الذى يجعل الرجاء فى تعويضه عن الصبر خيراً كثيراً . فيجب على الزوج معاملة زوجته بالمعروف فى الحُب والكُره ، لقوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

ويقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ (٢) .

قال القرطبى : أى لهن من حُسن الصُّحبة والعِشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذى عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن . وقيل : إنَّ لَهُنَّ على أزواجهن تَرْكَ مضارَّتهن ، كما كان ذلك عليهن لأزواجهن قال الطبرى ، وقال أبو زيد : «تتقون الله فيهن ، كما عليهن أن يَتَّقِينَ الله عز وجل فيكم » .

والآيه تعم جميع ذلك من حقوق الزوجية .

ويوصينا الرسول الكريم ﷺ بالنساء خيراً : فعن عمر بن الأحوص الجشمى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذَكَّرَ ووعَظَ :

« . . . ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هُنَّ عَوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فَعَلْنَ فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطَعْنكُم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، ألا إن لكم على

---

(١) سورة النساء ـ من الآية ١٩ .

(٢) سبق تخريجها .

نسائكم حقًا ، ولنسائكم عليكم حقا : فَحَقُّهُنَّ فقهن عليكم : أَنْ تُحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن »[1] .

ونعرض لمحات عن بعض ما جاء فى هذا الحديث الشريف : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا » أى ليُوص بعضُكم بعضاً خيراً بأهله ، بأن يُحسن عِشْرَتها ويؤدى إليها حقوقها . « فإنما هن عوان عندكم» أى أسيرات فى بيوتكم ، حيث تلزم المرأة بيت الزوجية فلا تخرج منه إلا بإذن زوجها ، « وليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك » أى : لا تملكون منهن شيئاً غير ما جَعَلَ لكم الشرع من حَقٍّ عليهن فى الطاعة ولزوم البيت ، ونحو ذلك . « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » . المراد : النشوز ، وإيذاء الزوج أو أهله باللسان أو اليد ، وليس المراد بها الزنى .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى خطبة الوداع : « واستوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنكم أخذتُموهُنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فُروجَهُن بكلمة الله »[2] .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال :

قلت يا رسول الله : ما حقُّ زَوْجَةِ أحَدِنا عليه ؟

قال صلى الله عليه وسلم : « أن تُطْعِمهَا إذا طَعِمْتَ ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّحْ ، ولا تهجر إلا فى البيت » .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« أكْمَلُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلُقاً ، وألْطَفُهُم بأهله ، وخيارُكم خياركم لنسائهم»[1] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

وفى رواية :

---

(١) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم ـ انظر ابن كثير ج : ٦ .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

« خَيْرُكُم ألطفكم بأهله »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : « خيركم خيركم للنساء » .

ويقول الرسول ﷺ : « ما أكرمَ النساءَ إلا كريمٌ ولا أهانَهُنَّ إلا لئيم » .

- وأوصانا النبى ﷺ بالنساء فى حديث آخر حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضلع أعوج ، وإنَّ أعوجَ ما فى الضلع أعلاه ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقيمُه كَسَرْتَهُ ، وإن تَرَكْتَه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً »[2] .

وفى رواية فى الصحيحين :

« المرأة كالضلع ، إنْ أقَمْتَها كَسَرْتَها ، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوج» .

وعن سَمُرَة بن جُنْدَب ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المرأة خُلقت من ضلع ، ولن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وفيها عِوَج ، وإنْ ذهبتَ تقيمها كَسَرْتَهَا ، وكسرها طلاقها »[3] .

وفى رواية :

« فإن أقمتها كسرتها ، فَدَارِهَا تَعِشْ بها » .

قال ابن كثير : « وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العِشْرَة ، دائمُ البِشْرِ ، يُداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويُضاحِكُ نساءه »[4] .

ويقول الإمام الغزالى فى كتاب الإحياء : . . . الأدب الثانى : « حُسن الخُلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، لقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[5] والأدب الثالث : أن يزيد على احتمال الأذَى بالمداعبة ، والمزح والملاعبة ، فهى التى

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ الترغيب ج ٣ .

(٣) رواه مسلم ـ الترغيب ج ٣ .

(٤) ابن كثير : ج ١ .

(٥) سورة النساء ـ من الآية : ١٩ .

تطيب قلوب النساء ، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق ، حتى روى أنه ﷺ كان يُسابق عائشة فى العَدْوِ فسبقته يوماً ، وسبقها فى بعض الأيام ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذه بتلك » .

ويقول أيضاً الإمام الغزالى :

« وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف ، وأن يحسن خُلقه معها ، وليس حُسن الخُلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كان أزواجه يُراجِعْنَهُ الكلام ، وتهجره إحداهن إلى الليل »[1] .

لذلك فإن من حق الزوجة على زوجها أن يُحسن عشرتها ، والمعاشرة بالمعروف تتضمن ألاَّ يُسِىء الزوج إلى زوجته بالقول أو الفعل ، فلا يُسمعها كلاماً جارحاً ، ولا يضيق عليها فى المعيشة ، ولا يستأثر عليها بمتاع الحياة ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته بالعدل والتسامح والرحمة ؛ ولذلك تكررت الوصية بالنساء فى الكتاب والسنة .

فَعَلى الزوج أن يُعامل زوجته بتقدير كامل وعطف وحنان ، حتى تسود الأسرة روح السعادة والاستقرار ، ويسيطر عليها مظاهر الجو الإسلامى الطيب ، فينشأ الأطفال وتتعمق فيهم آثار هذه القيم والصفات النبيلة ، كما أن على الزوج أن يهيىء لشريكة حياته حياة طيبة كريمة .

كما يجب أن يسود الحب والعطف المتبادل بين الزوجين من ناحية ، وبينهما وبين الأولاد من ناحية أخرى ، إن الحُب المتبادل يجب أن يملأ قلب كل فرد من أفراد الأسرة ، إن الحب المتبادل هو العامل الفعال الذى يدفع كل فرد من أفراد الأسرة إلى تحمل مسئولياته برحابة صدر ؛ لذلك قيل :

« إن الله عز وجل لَيَرْحَمُ الرَّجُلَ لِشِدَّةِ حُبِّه لولده » .

ويوضح لنا القرآن الكريم كيف أن الحياة الزوجية شركة موفقة بين طرفين ، يسودها السَّكَنُ والمودة والرحمة ، حيث يقول الله عز وجل :

---

(١) إحياء علوم الدين (فى آداب المعاشرة) .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

ورسولنا الكريم ﷺ كرر وصيته بالنساء طول حياته ، بل لم ينسهن وهو فى فراش الموت ، فقدْ روِىَ أنَّ آخِرَ ما أوْصَى به النبى ﷺ ثَلاثٌ كان يتكلم بِهِنَّ حتى لجج لسانه وخَفِىَ كلامه :

﴿ الصَّلاَة وما مَلَكَتْ أيمانكم ، لاُتكلِّفُوهُنَّ مالا يُطيقُونَ ، الله الله فى النساء ، فإنهن عَوان فى أيديكم ، أخذتموهن بأمانة الله » (٢) .

ثانياً : الإنفاق على الزوجة :

من واجبات الزوج الإنفاق على زوجته ولو كانت مُوسِرَة ، فلا تلزم الزوجة ولو كانت ذات مال أن تنفق على نفسها شيئاً من مالها قليلاً أو كثيراً ـ إلاَّ أن تتطوع به عن طيبة نفس .

والزوج مُلْزَمٌ بنفقة زوجته من حين عقد الزواج ، يُعِدُّ لها المَسْكَنَ والمتاعَ ، ويُوَفِّر لها الطعام والشراب والكسوة وما تستلزمه الحياة الطبيعية اللائقة بالزوجين دون إسراف ولا تقتير ، فخير الأمور الوسط .

يقول الله تعالى فى حق السكنى للزوجة :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾(٣) . أى : على قَدْرِ ما يطيقه كل منكم .

ويقول عز وجل فى حق النفقة :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الروم ـ الآية ٢١ .

(٢) رواه الطبرانى ـ وانظر : التعريف بالفقه الإسلامى لمحمد مصطفى شلبى .

(٣) سورة الطلاق ـ من الآية السادسة .

(٤) سورة الطلاق . الآية السابعة .

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (١) . أى : فيما يلزمهن من كسوة وطعام بالمعروف .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه ، عن أبى إمامة قال ، قال رسول الله ﷺ :

« يا بْنَ آدم ، إنكَ إنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ خيرٌ لكَ ، وإن تمسكه شَرٌّ لك ، ولاتُلام على كفافٍ ، وابدأْ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

فنفقة الطعام والكسوة تُقَدَّرُ بطاقة الزوج وقُدرته المالية . فالغَنِيُّ يُنفق مِنْ سَعَتِه والمُقِلُّ على قَدْرِه ، فالغَنِيُّ يمكن أن يكسو زوجته الحَرِيَر طالما كان ذلك فى طاقته فالزوج مسئول مسئولية كاملة عن كل ما تحتاج إليه زوجته من متطلبات المعيشة وفى حدود طاقته ، فقال ﷺ : « كُلكم راع ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته » (٢) .

وعن الحَسَن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله سائلٌ كُلَّ راعٍ عَمَّا استرعاه ، حفِظَ أم ضَيَّعَ ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تَصَدَّقْتَ به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقتَهُ على أهلك » (٤) .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ، ودينار على أصحابه فى سبيل الله » (٥) .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« أولُ ما يُوضَعُ فى ميزان العبد نَفَقَتُهُ على أهله » (٦) .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والنسائى وأبو داود .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والبيهقى .

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن ابن مسعود الأنصارى عن النبى ﷺ قال :

« إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة »(١) .

ويُؤْجَرُ الزوج عن كل ما ينفقه ويقدمه لزوجته ، فعن العريان بن سارية رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل إذا سَقَى امرأته من الماء أُجِرَ ، قال فأتيتها فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ »(٢) .

وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ وهو يبايع النساء يوم فتح مكة عند الصفا ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ ﴾ (٣) قالت هند بنت عتبة : يا رسول الله ، إن أباسفيان (زوجها) رَجُلٌ شحيح ، لا يعطينى ما يكفينى بالمعروف(٤) . خشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها زوجها فتضيع ، أو تأخذ بلا علمه فتكون مناقضة للعهد ، فسألت النبى ﷺ ، فأمرها أن تأخذ بالمعروف ما يكفيها بلا إذن زوجها ، فقوله تعالى ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ ﴾ لا يسرقن مال الغير، ولو زوجها إذا كان قائماً بما يلزمها ، أما إذا كان مقصراً فى نفقتها فلها أن تأخذ من ماله بالمعروف على ماجرت به عادة أمثالها ، ولو بلا علم زوجها ، فالرجل إذا لم ينفق فللمرأة أن تأخذ ما يكفيها(٥).

وقد قرر الإسلام فضل هذا البذل المشكور ، فجعله من أسباب قوامة الرجل على المرأة فقال تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (٦) .

وقد روى عن وهب بن جابر قال : إنَّ مَوْلًى لعبد الله بن عمر قال له :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٣) سورة الممتحنة ـ من الآية : ١٢ .

(٤) أخرجه الشيخان .

(٥) الدين الخالص . ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٦) سورة النساء ـ من الآية ٣٤ .

« إنى أريد أن أقيم هذا الشهر ها هنا فى بيت المقدس فقال له : « تَرَكْتَ لأهلك ما يَقُوتُهم هذا الشهر » ؟ قال : لا ، قال : فارجع إلى أهلك فَاتْرَكْ لهم ما يَقُوتُهم ، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كَفَى بالمرء إثماً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوت » (١) .

وقد وجبت النفقة للزوجة بِبَذْلِهَا نَفْسَهَا ، ووقفها وقتها وجهدها على راحة الزوج وإسعاده ، ومنحه ثمار الحياة الزوجية . على أنه يجب على الزوج الإنفاق على زوجته سواء أكانت فى عصمته أم مطلقة رجعية . ولكن إذا نَشزت الزوجة وتصرفت تصرفات تَحُولُ بين الزوج وبين الانتفاع بها بالوجه المعقول ، كَأنْ تضاره بالامتناع عن المعاشرة بغير ما تُعْذَرُ به ، أو تهجر بيته متجنية ، أو تنفق أوقاتها خارجَ البيت بغير إذنه ، فإنها تُحْرَمُ من حق النفقة ؛ لأنه تجب نفقة الزوجة على زوجها بسبب تفرغ الزوجة للحياة الزوجية ، الذى يمكن معه تحقيق أغراض الزواج ، أما إذا قصر الزوج فى كفاية زوجته المستقيمة وإعالتها وهو قادر فإنه يُطالَب بأداء حقها وكفالتها ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

« خير الصَّدَقَة ما كان منها عن ظَهْرِ غِنًى ، واليد العُليا خَيْرٌ من اليد السُّفْلَى ، وابدأ بمن تعول . قيل : مَنْ أَعُول يا رسول الله ؟ قال : « امرأتُكَ مِمَّنْ تعولُ ، تقول : أطعمنى وإلا فارِقْنِي ، وولدك يقول : إلى مَنْ تتركنى ! » (٢) .

والحديث تصويرٌ لوجوب حق النفقة وتأكيده . وإذا أعسر الزوج وأقْتَر فإن على الزوجة أن تُشاركه صعاب الحياة ، وأن تؤمل الخير فى فضل الله ، فإن بعد العُسْر يُسرا .

﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٣)

وإنْ كان الإسلامُ قد أجازَ لها الحق فى الطلاق ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ سُئِلَ عن الرجل لا يجد ما ينفقه على زوجته قال : « يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا » (٤) .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود ، والنسائى والحاكم (رياض الصالحين) .

(٢) رواه أحمد والدارقطنى بإسناد صحيح ، وأخرجه الشيخان فى الصحيحين (نيل الأوطار - ج ٦) .

(٣) سورة الطلاق - من الآية السابعة .

(٤) رواه الدارقطنى (نيل الأوطار ج ٦) .

وعن الشافعى رضى الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتب إلى أمراء الجُند فى رجال غابوا عن نسائهم :

« إما أنْ يُنفقوا وإما أَنَ يُطَلِّقُوا ، أو يبعثوا نفقة ما حبسوا »(١) .

وما أجمل أن تصبر الزوجة مع زوجها على بلائه وفاءً وتقديراً ، واثِقَةً فى فضل الله ورحمته التى وسعت كل شىء . فاللهم لا قابِضَ لما بسَطْتَ ، ولا باسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، ولا مانع لما أَعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِىَ لما مَنَعْتَ . اللهم حَبِّبْ الإيمانَ وزَيِّنْهُ فى قُلوبِنَا ، وكَرِّهْ إلينا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيَان ، واجعلنا من الراشدين .

فالأمر مَنوطٌ بالله عز وجل فى الفَرَجِ بعد الضيق ، واليُسْر بعد العُسر ، فأولى للزوجة أن تتجه إليه ـ سبحانه ـ بالأمر كلَه ، وأن تراقبه وتتقيه ، والأمر كله إليه ، وهو المانح المانع ، القابض الباسط ، وبيده الضيق والفرج ، والعسر واليسر ، والشدة والرخاء ، فمن ذا الذى يعلم غيب الله وقدره المخبوء ، فقد تتغير الأحوال وتتبدل إلى هناءة ورضا ، فَقَدَرُ الله دائم الحركة ، دائم التغيُّر ، ودائم الإحْدَاث ، والتسليم لأمر الله أولى ، والرعاية له أوفق ، وتقواه ومراقبته ـ سبحانه ـ فيها الخير كله . والنفس البشرية قد تستغرقها اللحظة الحاضرة وما فيها من أوضاع وملابسات ، وقد تغلق عليها منافذ المستقبل ، فتعيش فى سجن اللحظة الحاضرة ، وتشعر أنها باقية ، وأن ما فيها من أوضاع وأحوال وضيق وعُسر ثابت لا يتغير ، وهذا سجن نفسى مغلق مُفْسِدٌ للأعصاب .

فليست هذه هى الحقيقة ، فَقَدَرُ الله دائماً يعمل ، ودائماً يُغَيِّرُ ، ودائماً يُبَدِّلُ ، ودائماً يُنشىء مالا يَجُولُ فى خاطِرِ البَشَرِ من الأحوال والأوضاع ، فَرَجٌ بعد ضِيقٍ ، وعُسْرٌ بعد يُسر ، وبَسْطٌ بعد قَبْض ، والله سبحانه كل يوم هو فى شأنٍ ، يبديه للخَلْق بعد أن كان عنهم فى حجاب ، فإن ما يُحدثه الله من الأمر متجددٌ دائم ؛ ولذلك يجب أن تكون أبواب المستقبل فى تغيير الأوضاع مفتوحة دائماً ، ويجب أن تظل النفوس متحركة بالأمل ، ندية بالرجاء ، فاللحظة التالية قد تحمل ما ليس فى الحسبان :

---

(١) نيل الأوطار ـ الجزء السادس .

﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[1].

نموذج رائع لوفاء الزوجة وصبرها :

إن من أجمل قصص الوفاء التى لا نكاد نجد لها مثيلاً قصة وفاء وصبر زوجة سيدنا أيوب عليه السلام ، الذى يُعَدُّ مثلاً وذِروَةً فى الوفاء والصبر والفضيلة . أيوب صلوات الله وسلامه عليه الذى آتاه الله ثراءً عريضاً ، ونعمة موفورة ، وصحة ووسامة . أخذَ المالُ فى التناقُص ، وأخذت النعمة فى الزوال ، وأخذت الصحة فى الضعف شيئاً فشيئاً، حتى زال ذلك تماماً ، وأصبح من الفقر بحيث لا يجد ما يسد جوعه ، ومن المرض بحيث لا يستطيع أن يعمل ، وابتلى جسده بأنواع عديدة من البلاء ، وطال مرضه حتى عَافَهُ الجَلِيس وأوحش منه الأنيس ، وانقطع عنه الناس .

قال : « عشتُ سبعين سنة صحيحاً ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ » وكان يقول كلما أصابته مصيبة : « اللهم أنْتَ أَخَذْتَ ، وأنت أعطيت » وقال ﷺ فيما رواه ابن أبى حاتم : « إن نَبِيَّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد » . أما زوجة أيوب النموذج الطيب الطاهر للإخلاص والوفاء فقد لازَمَتْهُ هذه الزوجة الكريمة ملازمة تامة ، فكانت الوحيدة التى حَنَّتْ عليه طيلة ابتلائه، لقد كانت تُقَدِّرُ حَقَّ الزوجية كل التقدير ، وتقوم بواجبها خير قيام ، لقد تذوقت معه السعادة فى أيام نعمته ، وها هى ذى تبذل كل جهدها فى أيام ابتلائه لتدبر له ولها المعيشة بكل وسيلة شريفة ، حتى اضطرتها الظروف إلى أن تعمل خادمة بعد أن كانت مخدومة ؛ لتسد جوعها وجوع زوجها . ومع ذلك فإن القضاء لم ينته فى أمرها وأمر زوجها إلى هذا الحد ، فقد ترددت إشَاعَة أن من يستخدم امرأة أيوب يناله من بلائه ويحل عليه شقاؤه ، فأُغلقت الأبواب فى وجهها ، وبحثت عن عمل فلم تجد، وكانت ذات شعر طويل ، وفكرت طويلاً فى الخروج من محنتها ، يقول الإمام ابن كثير:

« فلما لم تجد من يستخدمها عهدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها

---

(١) سورة الطلاق ـ من الآية الأولى .

بطعام طيب كثير ، فأتت به أيوب فأنكره عليها وسألها من أين لك هذا ؟ قالت : خدمتُ به أُناساً .

ولما كان الغد ولم تجد عملاً باعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتت به ، فحلف ألاَّ يأكل حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ، فكشفت عن رأسها الخِمَار ، فلما رأى رأسها محلوقاً دعا ربه متضرعاً :

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(١) .

واستجاب الله للدعاء ، وهو الذى يُجيب المُضْطَرَّ إذا دعاه ويكشف السوء ، وتحقق القانون السماوى :

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) .

وشُفِيَ سيدنا أيوب عليه السلام وطريقة شفائه يوضحها قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾(٣) .

والمراد بمس الشيطان إياه بالنُّصْب والعَذاب هو ما كان يوسوس به الشيطان إلى أيوب فى مرضه ، من تعظيم ما نَزَلَ به من البلاء ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والجَزَع مما أصابه .

وما كان يوسوس به الشيطان لخُلَصاء أيوب القلائل الذين بَقُوا على وفائهم له ، ومنهم زوجته ، بأن الله لو كان يُحب أيوب لَمَا ابتلاه . وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه فى نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء ، فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليَضْرِبَنَّهَا عدداً عَيَّنَهُ ، قيل : مائة سَوْط . عندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما

---

(١) سورة الأنبياء ـ من الآية ٨٣ .

(٢) سورة يوسف ـ من الآية ٩٠ .

(٣) سورة ص ـ الآيتان : ٤١ ، ٤٢ .

يَلْقَى من إيذاء الشيطان ومَدخله إلى نفسه وإلى نفوس خُلصائه ، ووَقْع هذا الإيذاء فى نفسه . التجأ إلى الله أن يكفيه ذلك بالتوفيق لدفعه ، ورده بالصبر الجميل ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ فلما عرف ربه منه صِدْقَهُ وصَبره ، ونفوره من محاولات الشيطان ، وتأذِّيه بها ، أدْرَكَهُ برحمته ، وأَنْهَى ابتلاءه نتيجة تقواه وصبره ، فشفاه الله ، ورد عليه عافيته ، وأوحى الله إليه أن : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾

وامتثَلَ أيوبُ لما أمره الله به ؛ فأنبع الله عيناً من الماء ، وأمره أن يَغْتَسِلَ فيها ويشرب منها ، فأَذْهَب الله عنه ما كان يجده من الألم والمرض الذى كان فى جسده ظاهراً وباطنًا ، وعادت إليه الصحة والعافية ، واسترد أهله ، ورزقه الله بغيرهم ، زيادة فى الإنعام والرحمة والرعاية والفضل من الله على عباده الذين يبتليهم فيصبرون على بلائه وترضى نفوسهم بقضائه . ويدل ذلك على الأخذ بأسباب التداوى عند المرض ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قادِرٌ على أن يشفيه بدون أسباب ، ولكن ليكون ذلك عظة وعبرة . . . صَبَرَ أيوبُ واتقَى الله ، وصبرت زوجته النقية الطاهرة واتقت الله فى زوجها ، واتقت الله فى نفسها وصبرت ، كما صبر الزوج على بلائه ، فحقق الله وعده ، ولم يُضَيِّعْ أجر المحسنين الصابرين .

وقوله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ (١) كان أيوب قد أقسم ليضربنَّ زوجته ، فرحمة من الله به وبزوجته التى قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها به ، وكانت حَسَنَة العِشْرَة تقية صِدِّيقَة ، بارة صابرة ، وفية ، فقد حلل الله يمينه بأهون شىء عليه ، وذلك بأن أمره بأخْذ مجموعة من عيدان الريحان ، أو مثل ذلك بالعدد الذى حدده ، ويضربها به ضربة واحدة ، ويكون هذا بمنزلة الضَّرْب بمائةِ سَوْط . وهذه تُجزىء عن يمينه ، فيتحلل من قسمه . وهذا من الفَرَج والمَخْرَج لِمَنِ اتقى الله وأطاعه ، وصَبَرَ على البلاء .

وصدق رسول ﷺ حيث يقول :

---

(١) سورة ص ـ من الآية ٤٤ .

« أشدُّ الناسِ بَلاَءً الأنبياءُ ، ثم الصَّالِحُون ، ثم الأمثلُ فالأمثل ، يبتلى الرجل على حَسَبِ دينه ، فإنْ كان فى دينه صلابة زِيدَ فى بلائه »[1] .

ثالثاً : صبر الزوج على أخطاء زوجته والصفح عنها :

يجب على المسلم أن يصبر على زوجته إذا رأى منها بعض مالا يعجبه من تصرفاتها ويعرف لها حنانها بجانب أخطائها ، ومزاياها إلى جوار عيوبها ، فيجب على الزوج الاحتمال والصبر على ما يكره من زوجته . وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا يَفرَكُ[2] المُؤمِنُ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ منها خُلُقاً رضَىَ منها آخَر » . وفى رواية أخرى : « لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إنْ سخِطَ منها خُلُقًا رضِىَ منها غيره[3] .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ، ﷺ أنه قال :

« مِنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤْذِ جارَهُ ، واسْتَوْصُوا بالنساء خيراً ، فإنهن خُلِقْنَ من ضلع أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تُقيمُه كَسَرته ، وإن تركته لم يَزَل أعْوَجَ ، فاستوصوا بالنساء خيراً »

ويحكى الإمام الغزالى قصة صبر سيدنا يونس عليه السلام على إيذاء زوجته له فيقول :

إن قوماً دخلوا على يونس عليه السلام فأضَافَهُم ، فكان يدخل ويخرج إلى منزله وامرأته تستطيل عليه وهو ساكتٌ ، فَتَعجَّبُوا من ذلك ، فقال لهم : لا تعجبوا ، إنى سألتُ الله تعالى وقلت : « ما أنْتَ معاقِبٌ لى به فى الآخرة فَعَجِّلْهُ فى الدنيا » .

فقال الله تعالى : « إن عقوبتك بنت فلان ، فلا تتزوج بها ، فتزوجْتُ وأنا صابر على ما ترون منها » .

وإنْ كانت هذه القصة بلا إسناد فإنها تُوضح جزاءَ صَبْرِ الزوج على زوجته ، وفى

---

(١) انظر تفسير ابن كثير .
وفى رحاب الكون مع الرسل والأنبياء ، لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود .
وفى رحاب ظلال القرآن ، لسيد قطب .
ومع الأنبياء فى القرآن الكريم ، لعفيفى عبد الفتاح طبارة .
وقصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار .

(٢) لا يَفرَك : لا يبغض .

(٣) رواه مسلم (رياض الصالحين) .

الصبر على ذلك رياضَةُ النفس ، و كَسْر الغضب ، وتحسين الخُلُق . وقد تحدث القرآن الكريم عن امرأة نوح وامرأة لوط فقال تعالى عنهما :

﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ (١) .

وسأل رجل النبي ﷺ :

يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال ﷺ :

« أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكْتَسَيْتَ ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت (٢) .

فلا يحل للمسلم أن يُقبح زوجته بأن يؤذيها ، بلسانه أو بيديه ، أو يسمعها ما تكره، قال تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٣) .

خذ العفو :

أى خذ العفو المُيَسَّر الممكن من أخلاق الزوجة فى المُعاشَرَة والصحْبَة ، ولا تطلب منها الكمال ، ولا تُكلفها الشَّاقَّ من الأخلاق ، واعْفُ عن أخطائها وضَعْفِها ونَقْصها فى معاملاتها الشخصية ، ولكنْ ليس فى العقيدة الدينية ولا فى الواجبات الشرعية ، فليس فى عقيدة الإسلام ولا شريعة الله تغاض، وإنما سَعَة صدر ، وسماحة طبع ، ويُسر وتيسير فى غير تهاون ، ولا تفريط فى دين الله . وأمُرْ بالعُرْفِ : وَأْمُر بالخَيْر المعروف الواضح الذى لا يحتاج إلى مناقشة وجدال ، والذى تلتقى عليه الفِطَرُ السليمة والنفوس المستقيمة . ويقول الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين »، فى باب آداب المعاشرة :

« حُسن الخُلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحماً عليهن لقصور عقولهن ، واعلم أنه ليس من حُسن الخلق كف الأذى عنها فقط ، بل احتمال الأذَى منها وتقبُّله ، والحلم

---

(١) سورة التحريم ـ من الآية العاشرة .

(٢) رواه أبو داود وابن حيان فى صحيحه .

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٩٩ .

عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كانت أزواجه يُراجِعْنَهُ الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل » .

ويوضح لنا القرآن الكريم ما لقيه النبى ﷺ من أزواجه حتى نزلت آيات الله البينات تهددهن فى قوله تعالى :

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (١) .

صبر النبى ﷺ على نسائه :

غضب السيدة عائشة :

وكان النبى ﷺ غاية فى السماحة مع أزواجه ، فيصفح عنهن ، ويوسع صدره ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يقول لها :

« إنى لَأَعْلَمُ إنْ كُنتِ عنى راضيةً وإذا كنت علىَّ غَضْبَى . قالت : فقلت : مِنْ أيْنَ تعْرِفُ ذلك ؟ فقال : أمَّا إذا كُنْت علىَّ راضيةً فإنَّكِ تقولين : لا وَرَبِّ مُحمد ، وإذا كُنْتِ علىَّ غضْبَى قلتِ : لا وَرب إبراهيم . قَالت : قلت : أجَلْ والله يا رسول الله ، ما أَهْجُر إلاَّ اسْمَكَ » (٢) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ إذا غَضِبْتُ وضَع يده على مَنْكِبى وقال :

« اللهم اغفر لها وأَذْهِبْ عنها غَيْظَ قلبها وأَعِذْهَا من الفتن » (٣) .

نساء النبى ﷺ يطالبن بالتوسعة عليهن فى النفقة :

ضاقت نساء النبى ﷺ بما فرض عليهن من حياة خَشِنة ، فاجتمعن وطالَبْنَ الرسول الكريم بالتوسعة عليهن فى النفقة بعد ما أفاء الله على نبيه الكريم وبسط له ، فتضايقَ

---

(١) سورة التحريم ـ الآية الخامسة .

(٢) متفق عليه (وانظر إحياء علوم الدين) .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ـ ج ٢ .

الرسولُ ﷺ من نسائه واعتزلهن شهراً ، وطالت غيبة الرسول ﷺ عن الصحابة ، ويذهب أبو بكر وعمر إلى بيت الرسول ليجد الرسول ﷺ وحوله نساؤه فى صَمْتٍ مُطْبِق . فقال عمر : والله لَأَقُولَنَّ شيئًا أُضْحِكُ به الرسول ﷺ . فقال : يا رسول الله ، لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتنى النفقةَ آنِفاً فَوَجَأْتُ عُنقها (ضربتها) ، فَضحِكَ النبى ﷺ وقال : « هُنَّ حَوْلى كما ترى يَسْأَلْنَنِي النفقة ، ويهم أبو بكر إلى ابنته عائشة ، وعمر إلى ابنته حفصه ، كلاهما يحاول ضَرْبَها قائلا : تَسْأَلْنَ رسول الله ﷺ ماليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ ماليس عنده ، ويتدخل الرسول الكريم ويمنع الصَّاحِبَيْنِ من كُلِّ أذًى يلحق ابنتيهما . ويسكت الصاحبان أبو بكر وعمر ، ويسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينزل الوحى بِفَصْل الخطاب فى هذه القضية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١)

فخَيَّرَهُن النبى ﷺ ، فاخْتَرْنَ على الفور الله ورسوله والدارَ والآخِرَة .

صبر عمر بن الخطاب على زوجته :

ذهب أعرابى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليشكو زوجته ، وما إنْ كان بباب أمير المؤمنين حتى سمع امرأته تستطيل عليه وتقول : اتَّق الله يا عمر فيما وَلَّاك . وهو ساكتٌ لا يتكلم ، فرآه عمر وهو يهم بالانصراف ، فقال له : ما حَاجَتُكَ يا أخا العرب ؟

فقال الأعرابى :

يا أمير المؤمنين جئتُ إليك أشكو خُلُقَ زوجتى واستطالتها علىَّ ، فرأيتُ عندك مازهَّدنِى ، إذْ كان ما عندك أكثر مما عندى ، فَهَمَمْتُ بالرجوع وأنا أقول :

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فتبسم عمر رضى الله عنه وقال : يا أخا الإسلام ، إنى أحتملها لحُقُوق لها علىَّ : إنها طبَّاخَةٌ لطعامى ، خَبَّازَة لخُبزى ، مرضعة لأولادى ، غاسِلَةٌ لثيابى ، وبقَدْرِ صبرى عليها يكون ثوابى .

من الآثار :

وحُكِىَ أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله ـ وكان من الصالحين ـ يزوره فى كل عام مرة ، فجاء لزيارته ، فطرق الباب ، فقالت امرأته : راح يحْتَطِب ، وأخذت تكيلُ لزوجها الإهانات والسِّبابَ والشتائم ، فبينما هو واقف على الباب إذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل الحطب ، على ظهر أَسَدٍ وهو يسوقه بين يديه ، فسلَّم على أخيه ورَحَّبَ به ، وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهبْ بارَكَ الله فيك . ثم أدخل أخاه ، والمرأة على حالها تواصل إهانة زوجها وسَبَّه ، فأكل مع أخيه ثم وَدَّعَهُ وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام التالى جاء أَخُوه لزيارته على عادتـه ، فطرق الباب فقالت امرأته : راح يحتطب اجْلِسْ فإنه سيأتى ـ إن شاء الله ـ بخير وعافية ، وأخذت تدعو لزوجها ، قال : فتعجب من أدبها الجَمِّ ولُطْفِ كلامها ، وجاء أَخُوه وهو يحمل الحطب على ظهره ، فتعجب أيضاً لذلك ، وأدخله الدار ، وأحضرت المرأة طعاماً ، وجعلت تدعو لزوجها وتُثْنِى عليه ، ثم قال له : أَخْبِرْنِي يا أخى : عامَ أول أتيتُكَ فسمعتُ كلام امرأة بذيئة اللسان ، تذم كثيراً ، ورأيتُك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر أسد وهو مُسَخَّرٌ بين يديك ، ورأيتُ هذا العام كلامَ امرأة مؤدبة شاكرة، وقد أتيت والحطب على ظَهْرِكَ ، فما السبب؟ قال : يا أخى تُوفيت تلك المرأة الشرسة ، وكنت صابراً على خُلُقِها وإيذائها وما يبدو منها ، وكنت معها فى تعب وأنا أحتملها ، فسخَّرَ الله لى هذا الأسد يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها ، فلما تُوفيت تزوجتُ هذه المرأة الصالحة ، أنا فى راحة معها ، فانقطع عنى الأسد لراحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة ، فحملتُ الحطب على ظهرى .

ومهما يكن من مدى صحة هذه القصة فإنها تدل على أن من يصبر على أخطاء زوجته يُعوضه الله عن ذلك خيراً نتيجة قوة احتماله وصبره .

الفصل الثالث

من حقوق الزوج على زوجته

أولاً : طاعة الزوج :

كما أوضحنا أن القاعدة العامة فى الشريعة الإسلامية هى مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات ، اللهم إلا ما اسْتُثْنِىَ بِنصٍّ صريح ، وأن كل حق للزوجة على زوجها يقابله واجبٌ عليها إزاءه ، كما أن كل حق للزوج على زوجته يقابله واجبٌ عليه إزاءها ، فإن أول وأهم واجبات المرأة نحو زوجها طاعته فيما ليس فيه معصية ، ولا يُفْضِى إلى مَضَرَّة ، فلا ضررَ ولا ضِرار .

فيجب على الزوجة طاعة زوجها فى كل ما يأمرها به أو ينهاها عنه ، إلا إذا كان ذلك فى معصية الله عز وجل ، « فلا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق » ، والطاعة وسيلة للمحبة والمودة بين الزوجين ، فى حين أن المخالفة تؤدى إلى النفور والشقاق والكراهية .

جزاء طاعة الزوج :

أثنى القرآن الكريم على الزوجات الصالحات بأنهن :

﴿ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (١) .

فمن طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة ومن صفتها الملازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها أن تكون قانتة مطيعة ، والقنوت هو الطاعة عن إرادة وتَوَجُّهٍ ورغبة ومحبة ، لا عن قَهْرٍ وإرغام .

وقد حث النبى ﷺ الزوجة على طاعة زوجها فى أحاديث شريفة كثيرة ، وبَيَّنَ - صلوات الله وسلامه عليه - جزاء تلك الطاعة فى الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) سورة النساء - من الآية ٣٤ .

« ثلاثة لا تمسّهم النار : المرأة المُطِيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه ، والعبد القاضى حق الله وحق مولاه » .

وقال ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة» .

وقال عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين أم سلمة : « إذا أدَّتِ المرأةُ فريضة ربها ، وأطَاعَتْ زوجها ، وحَرَّكَتِ المِغْزَلَ ، كانت كأنها تسبح لله » .

وعن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ قال :

قال رسول الله ﷺ : « إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمْسَهَا ، وصامَتْ شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها : ادخُلِي الجنة من أى أبواب الجنة شئت » (١) .

وقيل للنبى ﷺ : أى النساء أفضل ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : « التى تطيع زوجها إذا أَمَر ، وتسره إذا نَظَر » .

وروى عنه أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطيرُ فى الهواء ، والحيتان فى الماء ، والملائكة فى السماء ، والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أعظم حقًّا على المرأة ؟ قال : « زوجها » قلتُ : فأى الناس أعظم حقًّا على الرجل ؟ قال «أمه»(٢).

وعن حصين بن محصن رضى الله عنه ، أن عمةً له أتَتِ النبى ﷺ ، فقال لها النبى : أذات زوج أنت ؟ قالت : نعم . قال : فأين أَنْتِ منه ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه . قال : فكيف أنْتِ له فإنه جَنَّتُك ونارُك » .

وفى رواية : « انظرى أين أنتِ منه ، فإنه جنتك ونارك » (٣).

ومعنى ما آلوه إلا ما عجزت عنه ، أى لا أُقَصِّرُ فى شىء مِنْ حَقِّه إلا فيما لا

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .

(٢) رواه الحاكم والبزار بإسناد حسن .

(٣) رواه أحمد والنسائى بإسنادين جيدين ، ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

أستطيعه . فإنه جنتك ونارك : أى إنْ أطعْتِه دَخَلْتِ الجنة ، وإن عَصَيْتِه دخَلْتِ النار.

وعن أم سَلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة »(١).

وقد عظم ثواب الزوجة المطيعة حتى سَاوَى أمر المجاهد فى سبيل الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « جهاد المرأة حُسْنُ التَّبَعُّلِ « أى : طاعة الزوج والتزيُّن له .

ورُوِىَ أن أسماء بنت يزيد الأنصارى أتت إلى النبى ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : يا رسول الله ، إنى وافِدةُ النساء إليك : إن الله بعَثَكَ بالحق للرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ، وإنَّا ـ معشر النساء ـ محصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وأنتم ـ معشَرَ الرجال ـ فُضِّلْتُمْ علينا بالجُمَع والجماعات ، وعيادَةِ المَرضَى ، وشهادة الجنائز، وأفضل من ذلك الجِهَاد فى سبيل الله تعالى ، وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمراً أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنا نشارككم فى هذا الخير والأجر يا رسول الله ؟

فالتفت النبى ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال :

« هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها ؟ »

فقالوا يا رسول الله : ما ظننا امرأة تهتدى إلى مثل هذا . فالتفت النبى ﷺ ثم قال : « انصرفى أيتها المرأة وأَعْلِمِى مَنْ خَلْفَكَ من النساء أنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته وطاعته ، واعترافها بحقه يعدل ذلك كلَه ، وقليل منكن من يفعله . فانصرفت أسماء بنت يزيد حتى دخلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله رسول الله ﷺ ، فَفَرِحْنَ ، وآمَنَ جميعُهن . وسُميت أسماءُ رسولَ العرب إلى النبى ﷺ (٢) .

جزاء عدم طاعة الزوج :

ومن ناحية أخرى حَذَّرَ الرسول ﷺ الزوجة من عِصْيَانِ زوجها ، وأوضح صلوات الله وسلامه عليه جزاء ذلك فى أحاديث شريفة كثيرة :

---

(١) رواه ابن ماجه ، والترمذى ، وحَسَّنه .

(٢) رواه مسلم ، وأخرجه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس .

ففى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « اطَّلَعْتُ فى النار فإذا أكْثَر أهلها النساء » فقلن : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : « يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ويَكْفُرنَ العشير » . وذلك بسبب قِلَّةِ طاعتهن لله ورسوله ، وعدم طاعتهن لأزواجهن .

وروى عنه ﷺ أنه قال : « أيُّمَا امرأة عَصَتْ زوجهَا فعليها لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيُّما امرأة كَلَحَتْ فى وجه زوجها فهى فى سَخَطِ الله إلى أن تُصَاحِكُه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذْنِ زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا باتت المرأة هاجرة فِراشَ زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« ثلاثة لا ترتفعُ صلاتُهن فوق رءوسهن شبراً : رَجُلٌ أَمَّ قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخَوانِ منصرمان » (٢) .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثه يلعنهم الله : مَن تَقَدَّمَ قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح ثم لم يجب » (٣) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول ﷺ :

« اثنان لاتجاوز صلاتهما رءوسهما » ، ولا يصعد لهما إلى السماء حسنة :

عبدٌ أَبَقَ مِنْ مواليه ، وامرأة عَصَتْ زوجهَا حتى ترجع » (٤) .

ومعنى قوله : حتى ترجع : أى عن نشوزها وتدخل فى طاعة زوجها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك .

(٤) رواه الحاكم والطبرانى بإسناد جيد (الترغيب والترهيب ج ٣) .

وفى رواية أخرى : « العبد الآبِق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخِط عليها زوجها حتى يرضى » .

ولا يتحقق السكـن والمـودة والرحمة التى أشارت إليها الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) ، إلا إذا كانت هناك طاعة كامل ، وحب وتقدير واحترام من الزوجة لزوجها ، يقابله احترام وتقدير وحب متبادَل من الزوج لزوجته .

الطاعة فى المعروف :

ونكرر القول تأكيداً بأن الطاعة التى تحدثنا عنها هى الطاعة فى المعروف ، فلا طَاعَةَ لمخلوق فى معصية الخالق ، فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

ولننظر على الخصوص فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ .

يعنى : أن الأمر ليس طاعة مطلقة ، وإنما هى الطاعة فى المعروف ، إنها طاعة محدودة بالمعروف ، والله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً .

---

(١) سورة الروم ـ الآية ٢١ .

(٢) سورة الممتحنة ـ الآية ١٢ .

يقول الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين : « على الزوجة طاعة زوجها مطلقاً فى كل ما يطلب منها ، فى نفسها مما لا معصية فيه ، فالرسول ﷺ يقول : « لا طَاعَةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق » ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنما الطاعة فى المعروف » (١).

فيجب على الزوجة أن تطيع زوجها ما أطاع الله أقوالاً وأفعالاً ، فإذا ما خالف منهج الله بأن أخطأ أو عَصَى الله ، أو خرج على شىء من أوامر الحق سبحانه وتعالى ، فعليها أن تنهاه ولا توافقه ، وعليها أن تُذَكِّرَهُ إنْ كان غافلاً ، وترده إن كان مخطئاً . وفى قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٢) ، تكرر فعل الأمر (أطيعوا) بالنسبة للرسول ﷺ ، وبعد ذلك قال الله تعالى : وأولى الأمر منكم ، ولم يَقُل : وأطيعُوا أولى الأمر ، بتكرار فعل الأمر «أطيعوا » ، وإنما قال : وأولى الأمر ، فكأنَّ طاعة أولى الأمر وطاعة الزوج إنما هى من باطن طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ .

وفى الصحيحين من حديث الأعمشى : « إنما الطاعة فى المعروف » .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث يحيى القطان : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحَبَّ أو كَرِهَ مالم يُؤْمَرُ بمعصية ، فإذا أمرَ بمعصية فلا سَمْعَ ولا طاعة » . . فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ثانياً : ألاَّ يوطئن فُرُشَكُم من تكرهون ، ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون :

قال النبى ﷺ فى حجة الوداع :

« ألا إنَّ لكم على نسائكم حَقًّا ، ولنسائكم عليكم حقًّا ، فحقكم عليهن : ألاَّ يُوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون » (٣) .

قال الخطابى : معناه : ألاَّ يأذنَّ لأحد من الرجال فيتحدث إليهن » .

وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب ، لا يرون ذلك عيباً ولا يعدونه ريبة ، فلما نزلت آيةُ الحِجَاب وصارت النساء مقصورات ، نَهَى عن محادثتهن

---

(١) القول المفيد فى أدلة الاجتهاد ، للإمام الشوكانى .

(٢) سورة النساء ـ من الآية ٥٩ .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى (رياض الصالحين) .

والقعود إليهن . وقيل : المختارُ مَنْعُهُنَّ عن إذْن أحد فى الدخول والجلوس فى المنازل ، حتى ولو كان محرماً أو امرأة إلا برضا الزوج ، فيشعر الزوج بدوره فى بيته ، ويحس بمكانته داخل أسرته . فلا يجوز للزوجة شرعاً ولا وفاءً التحدث مع أى إنسان يكرهه الزوج ، حتى ولو كان محرماً أو امرأة . فقد يكون الرجل المحرم من النوع الذى ينقل أسرار البيوت فيوغر صدر الزوجة على زوجها ، وقد تكون هذه المرأة من المفسدات للعلاقات الزوجية ؛ ولهذا كان من الحكمة تنفيذ رغبة الزوج فى عدم الإذن بدخول مثل هؤلاء المفسدين بيته ، ولو كانوا محارم أو أقارب من ناحيته أو من ناحية زوجته ، وخصوصاً فى عدم حضوره .

والمراد بالفرش كل ما يُفْرَشُ من بساط أو حرير أو كراسٍ وغيره . أما الفاحشة أو الخلوة فهى حرام على الزوجة ، سواء رضى بها الزوج أو كَرِهَ ، غاب عنها الزوج أو حضر ؛ ولهذا حذر رسول الله ﷺ من الخلوة ، فقال فى حديث روى عن أبى أمامة رضى الله عنه : « إيَّاكَ والخلوةَ بالنساء ، والذى نفسى بيده ، ماخَلاَ رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يَزْحَمَ رَجُلٌ خنزيراً متلطخاً بَطين أو حَمْأَةٍ خيرٌ له من أن يزحم منكبه امرأة لا تحل له »(١) .

وفى حديث آخر يقول رسول الله ﷺ :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَخْلُوَنَّ بامرأة ليس بينه وبينها محرم »(٢) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يُخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »(٣) .

فعلى الزوجة المسلمة أن تُحافظ على سمعتها وكرامتها ، التى هى سمعة زوجها وكرامته ، حتى من مجرد الشبهة . ففى الحديث الشريف :

« . . . . فَمن اتَّقَى الشُّبُهات فقد استبرأَ لدِينه وعِرْضِه . . . »

---

(١) حديث غريب رواه الطبرانى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه الترمذى (التاج - ج ٢) .

والزوج الذى يقبل أن يحدث هذا من جانب زوجته وفى بيته فهو دَيُّوثٌ يقرُّ الخبثَ فى أهله ، وقد حَرَّمَ الله عليه الجنة ، فيقول الرسول ﷺ :

« ثلاثة قد حَرَّمَ الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث الذى يقر الخبث فى أهله » (١) .

وعلى الزوج أن يبتعد عن مثل هؤلاء ولا يصاحبهم . حيث أوصانا رسول الله ﷺ فقال : « لا تُصاحِبْ إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طَعَامَك إلا تَقِيٌّ » .

ويقول الشاعر :

عِفُّوا تعفُّ نساؤكم فى المَحْرَم ... وتَجَنبوا مالا يليق بمسلمِ

إنَّ الزِّنَى دَيْنٌ فَإنْ سَلَّفْتَهُ ... كان الوَفَا من أهل بيتك فَاعْلمِ

لو كُنْتَ حرًّا من سُلالَةِ طاهِرٍ ... ما كُنْتَ هَتَّاكًا لحُرمة مُسْلِمِ

ثالثا : عدم خروج الزوجة من بيتها إلا بإذن زوجها :

عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم قالوا : أتت امرأة من خَثْعَم إلى رسول الله ﷺ وقالت : إنى امرأة أَيِّمٌ (٢) وأريد أنْ أتَزَوَّجَ ، فما حق الزوج ؟فقال لها رسول الله ﷺ « إن مِنْ حَقِّ الزوج على الزوجة إذا أرَادَها فَراوَدَها عن نَفْسِهَا وهى على ظَهْرِ بعير لا تمنعه ، ومِنْ حَقِّه ألاَّ تُعْطِى شيئاً من بيته إلاَّ بإذْنه ، فإن فعلت كان الوِزْرُ عليها والأجر له ، ومِنْ حَقه ألاَّ تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فَعَلَتْ جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ، وإنْ خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب »(٣).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن المرأةَ إذا خرجَتْ من بيتها وزَوْجُها كارِهٌ لعَنَهَا كُلُّ مَلَكٍ فى السماء ، وكل شىء مرت عليه غير الجن والإنس ، حتى ترجع أو تتوب » (٤) .

---

(١) رواه أحمد ، واللفظ له ، ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) الأيِّم : التى لا زوج لها .

(٣) أخرجه البيهقى .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذى .

وفى رواية : « قيل : وإن كان ظالماً ؟ قال : وإنْ كان طالماً . . » الحديث .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى حق الزوج على الزوجة : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله أَنْ تَأْذَنَ فى بيت زوجها وهو كَارِهٌ ، ولا تخرج وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدًا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تَضُرُّ به ، فإنْ كان هو أظلم فَلْتَأْتِهِ حتى ترضيه ، فإنْ قَبِلَ منها فَبِهَا ونعمت ، وقبل الله عذرها ، وأفلح صحبتها ، فلا إثم عليها ، وإن هو لم يرضَ فقد أبلغت عند الله عذرها » (١) .

وقال ﷺ : « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد ، وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » . .

والمخدع : بيتٌ فى بيت ، وذلك أفضل للستر .

وقال ﷺ : « المرأة عورة ، فإذا خرجت اسْتَشْرَفَهَا الشيطانُ » (٢) .

وتحكى لنا كتب السيرة كيف أن سيدة مسلمة تحرجت من الذهاب إلى أبيها وهو يحتضر لغياب زوجها ، والعجز عن استئذانه ، فقال لها الرسول ﷺ : « لقد غَفَرَ الله لأبيكِ بما صَنَعْتِ » .

رابعاً : حُسن الخُلُق والصبر على أخطاء الزوج :

وكما يجب على الزوجة طاعة زوجها وعدم الإذن في بيته لمن يكره ، وعدم الخروج إلا بإذنه فإنه يجب عليها أيضاً أن تتصف بحُسن الخُلق ، فقد قال رسول الله ﷺ : «أكمَلُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً ، وألطفهم وأبرهم بأهله » (٣) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لم يُعْطَ عَبْدٌ ـ بعد الإيمان بالله تعالى ـ شيئاً خيراً من امرأة حَسَنة الخُلُق ، ولم يُعْطَ عَبْدٌ ـ بعد الكُفْر بالله تعالى ـ شيئاً أشد من امرأة بذيئة اللسان سيئة الخلق » .

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد (الترغيب والترهيب) .

(٢) أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذى والنسائى .

فالمرأة حسنة الخُلق تستطيع أن تكسب محبة زوجها ، وتهيىء له وسائل السعادة فى بيتها وحياتها ، والزوجة سيئة الخُلق تُحَوِّلُ بيتها وحياتها إلى جحيم لا يُطاق ، وتنفر زوجها وأهلها منها .

وإذا كان يجب على الزوج أن يصبر على سوء خُلق زوجته ، فإنه يجب على الزوجة أن تصبر أيضاً على سوء خُلق زوجها ، كما فى الحديث الشريف : « أَيُّمَا رَجُلٍ صَبَرَ على سوء خُلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعْطَى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيُّمَا امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون »(١) .

وروى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تُؤْذِيه ، قَاتَلَكِ الله ! فإنه هو دَخِيلٌ يوشك أن يفارقك إلينا »(٢) .

وروى أن محمد بن عبد الرحمن بن هشام القاضى المكى كان قصيراً دميماً ، وكانت رقبته داخِلةً فى بدنه ، فسمعته امرأته ذات يوم وهو يدعو :

« اللهم اعتق رقبتى من النار » فقالت له زوجته ساخرة منه : وأى رقبة لك حتى يعتقها الله من النار ؟ فقال لها : إن أمى قالت لى يوماً : « يا ولدى إنك قد خُلقت خِلقة لا تصلح معها لمُعَاشَرة القِيان ، فعليك بالدين والعلم ، فإنهما يتمان النقائص ويرفعان الخسائس ، فنفعنى الله بما قالت ، فاجتهدتُ فى طلب العلم حتى وُلِّيتُ القَضاء .

ومن طريف ما يُحكَى أن قارئاً كان يتلو آيات الله البينات حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ أى : تفرحون وتُسَرُّون ، فتوقف عن مواصلة التلاوة ، وأخذ يدعو ويكرر : اللهم لا تفعل ، اللهم لا تفعل ـ فقالت له زوجته ما

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذى ، وقال حديث حسن غريب .

الذى دهاك ؟ قال : كيف لا أقسم على الله وأدعوه وقد قال سبحانه :

﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ (١) .

فإذا كنتُ لا أقدر عليك فى هذه الدنيا الفانية لكثرة إيذائك لى ، فكيف أطيق أن تكونى معى فى دار البقاء ؟! فقالت له : لا تدعُ الله بحَقِّه عليك ، فإنى تائبة إلى الله ، وأسأله أن يجمع بيننا فى دار البقاء ، فقال : اللهم نعم إنْ كانت صادقة .

وقد روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

دخلت أنا وفاطمة على رسول الله ﷺ فوجدناه يبكى بكاءً شديداً ، فقلت له : فداك أبى وأمى يا رسول الله ، ما الذى أبكاك ؟ قال الرسول : « يا على ، ليلة أُسْرِىَ بى إلى السماء رأيتُ نساءً من أمتى يُعَذَّبْنَ بأنواع العذاب فبكيتُ لما رأيتُ من شدة عذابهن . رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحَمِيمُ يُصَبُّ فى حَلْقها ، ورأيت امرأة قد شُدَّتْ رجلاها إلى ثَدْيِهَا ويداها إلى ناصيتها وقد سُلِّطَ عليها الحيات والعقارب ، ورأيت امرأة معلقة بثديها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار ، وعليها ألوان من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دُبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار » .

فقامت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وقالت : حبيبى وقُرة عينى يا رسول الله ، ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : يا بنية : أمَّا المُعَلَّقة بشعرها فإنها كانت لا تُغَطِّى شعرها من الرجال . وأما المُعَلَّقَة بلسانها فإنها كانت تؤذى زوجها . وأما التى تُشَدُّ رِجْلاَها إلى ثَدْيِهَا ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض ، وتستهزىء بالصلاة ، وأمَّا المُعَلَّقَةُ بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها . وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة ، وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منَّانة حَسَّادة .

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية السبعون .

خامساً : ترضية الزوج عند الغضب :

ومن حُسن خُلق الزوجة أن تعمل على ترضية الزوج عند الغَضَب ، فلابد أن تحافظ الزوجة على رضا زوجها عليها ، ولْتَعْلَمْ جيداً أن : « أيما امرأة غضب عليها زوجها فهى ملعونة فى التوراة والزبور والإنجيل والفرقان ، وشَدَّدَ الله عليها سكرات الموت ، وضَيَّقَ عليها قبرها ، فَطُوبَى لامرأة رضى عنها زوجها » .

قال أبو الأسود الدؤلى لامرأته : « إذا رأيتنى غضبت فَرَضِّينى ، وإذا رأيتُك غَضِبْتِ تَرَضَّيْتُكِ » .

وعلى الزوجة إذا أخطأت فى حق زوجها أن تبادر بالاعتذار له ، وعلى الزوج أن يقبل اعتذارها ، فالاعتراف بالحق فضيلة . وقد قال أحد الحكماء :

« ليس على المسىء أكثر من اعترافه بذنبه » .

وقد يخطىء الزوج فى حق زوجته ، فمن الأدب ترك مؤاخذته حتى تهدأ ثورته ويزول غضبه ، ثم تعاتبه زوجته بطريق غير مباشر يدرك به الزوج خطأه ، تجنباً له من أن يقع فى أسلوب المكابرة دفاعاً عن نفسه .

لهذا قال رسول الله ﷺ :

« أنا زعيمٌ (كفيل) ببَيْتٍ فى رياض الجنة لِمَنْ تَرَكَ المِرَاء (الجدل) وإن كان محقًّا . وببيت فى وَسَطِ الجنة لِمَنْ تَرَكَ الكذبَ وإنْ كان مازِحاً ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُه » .

فيجب على الزوجة أن تبعد عن المراء والجدل مع زوجها فى حالة غضبه ، حتى لا تجعله يتشبث بخطئه ويدافع عن نفسه ولو بالمكابرة . كما يجب على الزوجة أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قُدرة ومودة ، وتَحْذَر أن تبيت وزوجها غاضب عليها . وفى الحديث الشريف عن النبى ﷺ : « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبراً : رجل أَمَّ قوماً وهُمْ له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخِطٌ ، وأَخَوَانِ مُتَصارِمان (متخاصمان)[1] .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

وفى الحديث الشريف :

« ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أواه الله فى كَنَفِهِ ، ونَشَرَ عليه رحمتهُ ، وأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ : من إذا أُعْطِىَ شَكَرَ ، وإذا قَدَرَ غَفَرَ ، وإذا غَضِبَ فَتَرَ » .

سادساً : احترام مشاعر الزوج :

المشاعر العامة :

قال الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » : ومن آداب الزوجة أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها ، وأن تحترم مشاعر زوجها ، فقد روى فى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : « تزوجنى الزبير ومَالَهُ فى الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شىء غير فَرَسِه ونَاضِحِه (بعيره الذى يحمل له الماء) فكنتُ أعلفُ فرسَه وأكفيه مئونته ، وأدُق النَّوَى لناضِحه وأسْقى الماءَ وأخرز غَرْبَه (دلوه) وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ ، حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى » .

وتقول أسماء أيضاً :

« لقيتُ رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال ﷺ : « أخ . أخ . لينيخ ناقَتَه ويَحْمِلَنِى خَلْفَهُ ، فاسْتَحْيَيْتُ أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغَيْرَتَهُ ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت . فجئت إلى الزبير وحكيت له ما جرى فقال : والله لَحَمْلُكِ النَّوَىَ عَلَى رأسِك أَشَدُّ علىَّ من ركوبك معه» .

وتدل هذه الرواية على ما يجب على الزوجة من احترام لمشاعر زوجها ، فهذه أسماء بنت أبى بكر احتراماً لمشاعر زوجها الزبير بن العوام وما تَعْلَمُهُ من غيرته الشديدة رفضت أن تركب مع الرجال ، بالرغم من أن الدعوة موجهة إليها من رسول الله ﷺ .

ويقول الإمام الغزالى أيضاً فى الإحياء عن واجبات الزوجة :

« إذا استأذن صديقٌ لزوجها على الباب وليس الزوج حاضراً لم تستفهم ، ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وزوجها . وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه

على حق نفسها وحق سائر أقاربها ، متنظفة فى نفسها ، مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها إنْ شاء ، مُشفقة على أولادها ، حافِظَة للستر عليهم ، مُقَيِّدَةً اللسان عن سَبِّ الأولاد ومراجعة الزوج » .

ومن آداب الزوجة ملازمة الصلاح والانقباض فى غيبة زوجها ، والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب المرح فى حضور زوجها ، ولا ينبغى أن تؤذى زوجها بحال » .

وروى معاذ بن جبل قال : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه ـ قاتَلكِ الله ـ فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يُفارِقَكَ إلينا»[1].

ويقول الشاعر على لسان حالِ من تؤذيه زوجته :

لقد كنتُ محتاجاً إلى مَوْتِ زَوْجَتى ... ولَكِنْ قَرِينُ السوءِ باقٍ مُعَمِّـــرُ

فيَالَيْتَهَا صَارَتْ إلى الْقَبْرِ عَاجِلاً ... وعَذَّبَهَـا فِيـه نَكِيرٌ ومُنْكِـــرُ

ويجب على الزوجة ألاَّ تفتخر على زوجها بجمالها ، ولا تعيبه بقُبحٍ إنْ كان فيه ، قال الأصمعى :

دخَلْتُ البادية فإذا امرأة حسناء لها بَعْلٌ قبيح ، فقلت لها :

كيف تَرْضَيْنَ لِنَفْسِكِ أن تَكُونِى تَحْتَ هَذَا ؟ فقالت : اسمع يا هذا :

« لعله أَحْسَنَ فيما بينه وبين الله خالقه فَجَعَلَنِى ثَوابه ، ولعَلِّى أسأتُ فيما بينى وبين الله خالقى فَجَعَلَهُ عُقُوبَتِى » .

سابعاً : المحافظة على أموال الزوج :

يقول الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » : إن أهم حقوق الزوج على زوجته أمران : أحدهما : الصيانة والستر . والآخَرُ : تَرْكُ المطالبةَ بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كَسْبِه إذا كان حراماً » .

فيجب على الزوجه أن تصون وتحافظ على مال زوجها ولا تفرط فيه ، فقد قال رسول

---

(١) أخرجه ابن ماجه ، والترمذى وقال : حديث حسن غريب (الترغيب والترهيب : ج ٣) و (التاج : ج ٣) .

الله ﷺ : « لا يَحِلُّ لها أن تُطْعِمَ من بيته إلاَّ بإذنِه إلاَّ الرطب من الطعام الذى يخاف فساده ، فإن أَطْعَمَتْ عن رِضَاهُ كان لها مِثْل أَجْرِه ، وإنْ أَطْعَمَتْ بغير إِذْنِه كان له الأجْرُ وعليها الوِزْرُ » (١) .

وأخرج أبو داود : قالت امرأة : يا رسول الله ، إنَّا كَلٌّ على آبائنا وأبنائنا وأَزْواجنَا ، فما يَحِلُّ لنا من أموالهم ؟ قال ﷺ : « الرُّطَبُ تَأْكُلْنَهِ وتَهْدِينَه » (٢) .

التصدق من مال الزوج :

أما التصدق من مال الزوج فمن الجميل فى هذا المقام أن الإسلام قرر للمرأة أن تتصدق من مال زوجها بغير إذنه ـ حاضرًا أو غائباً ـ ولم يجعل الإسلام للزوج مثل هذا الحق فى مال زوجته . وكل ما يقيد الزوجة فى هذا التصرف ألاَّ تؤدى الصَّدَقَة إلى إتلاف المال أو استئصاله .

وفى صحيح مسلم عن عائشة :

« إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كان لها أَجْرُهَا بما أَنفقتْ ، ولزوجها أَجْرُهُ بما كسب » (٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

« أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطيهنَّ فقد أُعْطِىَ خَيْرَ الدنياوالآخرة . قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حُوبًا ـ أى إثماً ـ فى نفسها وماله » (٤) .

وقال ﷺ : « أعظم النساء بركة أقلهن مَئونَة » .

فيجب على الزوجة ألاَّ تُثقل كاهِلَ زوجها بنفقات وطلبات لا يطيقها ولا يتحملها دَخْله ، حتى لا تُسَوِّلَ له نَفْسُه الكسب غير المشروع ، فضغط الحاجة مع النفوس الضعيفة قد يؤدى إلى الرشوة والكسب الحرام ؛ لذلك ينبهنا الرسول ﷺ إلى تحرِّى

---

(١) أخرجه البيهقى ، وأبو داود ، والطيالسى من حديث ابن عمر .

(٢) رواه أبو داود (إحياء علوم الدين) .

(٣) رواه الجماعة .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط (الترغيب والترهيب ـ ج ٣) .

الحلال فى كل ما نكسب وننفق ، فقال ﷺ « خذوا العطاء مادام عطاءً ، فإن صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ، ولستم بتاركيه ، تضطركم الحاجة والفقر » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تعالى طَيِّبٌ لا يقبل إلاَّ طيباً ، وإنَّ الله تعالى أمَرَ المؤمنين بما أمَرَ به المرسلين ، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣) .

ثم ذكَرَ الرجلَ يُطِيل السَّفَرَ أشْعَثَ أغبر ، يمد يديه إلى السماء قائلا : يا رب ، يا رب ، ومَطْعَمُهُ حَرام ، ومشربُه حرام ، ومَلْبَسُهُ حرام ، وُغذِّى بالحرام ، فأنَّى يستجاب له » (٤) .

ويقول الإمام الغزالى فى « إحياء علوم الدين » :

« لقد كانت زوجات وبنات السلف الصالح يَنْصَحْنَ أزواجهن ، فتقول الزوجة لزوجها عند خروجه من المنزل : « إيَّاكَ وكَسْبَ الحرام ، فإنَّا نصبرُ على الجوع والضر ولا نصبر على النار » .

فيجب على الزوج تحرى الحلال الكامل فى كل ما يكسب ، وفى كل ما ينفقه على نفسه وزوجته وأولاده ، وفى كل إنفاق له بصفة عامة . وفى الحديث الشريف :

قال ﷺ : « أيُّما لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فالنَّارُ أَوْلَى به » .

---

(١) الصحيحان : البخارى ومسلم .

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية ٥١ .

(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٧٢ .

(٤) رواه مسلم .

والله عز وجل يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١)

وفى الحديث الشريف : قال رسول الله ﷺ :

« كلكم راعٍ ، وكُلكم مسئولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته » .

وروى البيهقى فى الزهد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « يأتى على الناس زمانٌ لا يَسْلَمُ لِذِى دِينٍ دينُه إلاَّ مَنْ هَرَبَ بدينه مِنْ شَاهِقٍ إلى شَاهِقٍ ، ومن حَجَرٍ إلى حَجَر، فإن كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بسخط الله . فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يد زوجته وولده . فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه . فإن لم يكن له أبَوان كان هلاكه على يد قَرابته أو الجيران . قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يُعَيِّرُونَهُ بِضيق المعيشة ، فعند ذلك يُورِدُ نَفْسَهُ الموارد التى يهلك فيها نفسه» .

وهذا لا يعنى التقتير فى المعيشة ، ولكن يعنى التَّوَسُّطَ بين الإفْراط والتفريط ، حيث نَهَى الله عز وجل عن التقتير وعن الإسراف فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ (٢)

فيجب على الزوج النفقة ، وخير الأمور الوسَط والاعتدال ، حيث يقول الله تعالى :

﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾ (٣) .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : « إنى لأبغض أهل بيت يُنفقون رِزْقَ أيام فى يَوْمٍ واحِدٍ » . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : « لا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَحْفَظُ مالَهُ لِيَصُونَ به عِرْضَهُ ، ويصِلَ به رَحِمَه ، ويَسْتَغْنِى به عن لئام الناس » .

---

(١) سورة التحريم ـ من الآية السادسة .

(٢) سورة الإسراء ـ الآية التاسعة والعشرون .

(٣) سورة الطلاق ـ الآية السابعة .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :

« دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة (تحرير رقبة) ، ودينار تَصَدَّقْتَ به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجْراً الذى أنفقته على أهلك »(١).

فإذا كان الزوج مسئولاً عن كسب المال وتدبيره ، فإن الزوجة مسئولة عن حُسْنِ استخدام هذا المال أفضل استخدام ، بِحِكْمَةٍ وعَقْل فيما يعود بالنفع الكامل عليها وعلى زوجها وأولادها ، ويحول بيتها إلى جنة صغيرة مهما كان مستوى دخل زوجها ، بفضل حِكمتها وحُسن تصرفها فى مباشرة أعمال منزلها وإدارة شئونه وتدبيره ، وبذلك ترفرف على حياتها الزوجية السعادة والرضا والقناعة والطمأنينة .

وروى ابن مردويه بسنده عن ابن عباس قال : تَلَوْتُ هذه الآية عند النبى ﷺ وهى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾(٢) فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يجعلنى مُسْتَجَابَ الدعوة فقال الرسول : « يا سعد ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدعوة ، والذى نَفْسُ محمد بيده ، إنّ الرَّجُلَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الحَرامَ فى جَوفه ما يُتَقَبَّلُ منه أربعين يوماً ، وأَيُّما جَسَدٍ نبت لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ والربا فالنار أَوْلَى به » .

وقد سُئِل الإمامُ على بن أبى طالب رضى الله عنه عن التقوى فقال :

« هى العمل بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والرضا بقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل » .

ثامناً : شكر الزوج والوفاء له :

واستمراراً لحُسْن الخُلق والمعاملة الطيبة فى علاقة الزوجة بزوجها يجب عليها أن تشكر زوجها على صنيعه بالصيغة الإسلامية التى عَلَّمنَا إياها رسولنا ﷺ : « جزاكَ الله خيراً » فالشكر وسيلة طيبة لزيادة المَوَدَّة وتآلف القلوب وترابطها بين الزوجين ، وقال عليه الصلاة والسلام : « خيرُ النساء التى إذا أُعْطِيَتْ شَكَرَتْ ، وإذا حُرِمَت صبَرَتْ ، تُسُرُّكَ إذا نَظَرْتَ ، وتُطِيعُك إِذَا أَمْرتَ » .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

ويجب أن يكون شُكر الزوجة لزوجها فى حضوره وفى غيابه ، فذلك يزيد من اعتزاز الزوج بزوجته وتقديره لها ، فمن نَشَرَ ثوبَ الثناءِ فقد أدى واجب الجزاء ، وفى كتمان الشكر جحودٌ لما أَوْجَب منه ، ودخول فى كُفر النعم .

ويجب على الزوجة أن تكون وفية لزوجها ، ومن مظاهر وفاء الزوجة أن تُشاركه فى السراء والضراء ، راضية شاكرة ، فلا تُضجر ، ولا تُفارقه إنْ أصابته ضراء فى ماله أو بدنه ، وتظل تشاركه وتقاسمه الحياة فى مُرِّهَا كما قاسمته الحياة فى حُلوها ، وقد قيل : «خير النساء المُبْقِيَةُ على بعلها ، فهى تؤثر راحته على راحتها » .

الحِدَادُ على الزوج :

ويستمر الوفاء للزوج بعد وفاته : قال الإمام الغزالى فى الإحياء :

« ومما يجب على الزوجة من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها : ألاَّ تحدَّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليال » .

ومدة الحِدَادِ هذه هى العِدَّة للزوجة المتوفَّى عنها زوجها إذا لم تكن حاملاً ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

والحِدادُ على الزوج هذه الفترة الزمنية (أربعة أشهر وعشر ليالٍ) شرعها الله لتكون فاصلاً بين زوج كان ، وزوج يكون ، وهى مَظْهَرٌ من مظاهر الاحترام والوفاء لحق الزوج الأول ، بعدم الاجتراء بزواج جديد على قداسة وحُرمة الزواج الأول .

وتحسب مدة العدة بالشهور العربية التى تُحسب بدايتها بالليالى ، كما أن من حكمة مدة الحِدَادِ هذه احتمال اشتمال الرحم على حَمْلٍ ، وعلى الزوجة أن تنتظر هذه المدة (أربعة أشهر وعشرًا) ليظهر الحمل إنْ كان موجوداً أولا .

فقد رَوَى عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه قال : حَدّثَنَا رسول الله ، ﷺ ، وهو

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٣٤ .

الصادق المصدوق ، قال : « إن أحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهَ فى بَطِنْ أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون عَلَقَةً مثل ذلك ، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يرسل إليه المَلَكُ فينفخ فيه الروح ، ويُؤْمَرُ بأربع كلمات : بِكَتْبِ رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد » (١).

وسأَلَ أحدهم : لِمَ هذه الليالى العَشْر ؟ قال : « ينفخ فيها الروح » والمَلَكُ المُوَكَّلُ بالنفخ فى بطون الحوامل من المؤمنين والكافرين مَلَكٌ يُرسله الله تعالى إلى الحَوامِل بعد تقلب المادة المنوية فى طور النطفة أربعين يوماً ، ثم طَوْر العلقة كذلك ثم طور المضغة كذلك ، فينفخ فيه الروح ، ويكتب له تلك الكلمات الأربع المذكورة فى حديث ابن مسعود.

ويدل على ذلك أيضًا الحديث الذى رواه زيد بن على عن أبيه عن على قال :

« إذا تمت النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فينفخ فيها الروح فى الظلمات ، فذلك قوله تعالى : ثم أنشأناه خلقاً آخر » .

ومن طريف ما يقال : إن الروح لتنزعج من إدخالها فى البدن ، ونزعها من عالمها الأول ، وهو عالم اللطافة والأنس إلى عالم الكثافة والوحشة . كما أنها تنزعج من فراقها للبدن بعد ائتلافها به ، كما قال الحسن بن سيناء فى عَيْنِيَّتِهِ :

وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِراقَكَ وهى ذَاتُ تَوَجُّعِ

كما يجب على الزوجة ألاَّ تَحِدَّ على غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام فقط . على أن تتجنب الطيب والزينة فى مدة الحِدَاد .

قالت زينب بنت أبى سلمة : دَخَلْتُ على أُم حَبِيبة زوج النبى ﷺ حين تُوفى أبوها ، أبو سفيان بن حرب ، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَدَهَنَتْ به جارية ، ثم مُسَّتْ بِعَارِضَيْهَا ثم قالت : « والله مالى بالطِّيب من حاجة ، غير أنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

« لا يحلُّ لامرأة تؤمنُ بالله واليوم الآخِر أنْ تَحِدَّ على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زَوجْ أربعة أشهر وعشراً » (٢) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وروى البخارى ومسلم عن أم سلمة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال للمرأة التى جاءت تستأذن رسول الله فى أن تَكْتَحِلَ ابنتُها حين اشتكتْ عَيْنَهَا بعد وفاة زوجها : « لا تكتحل » قالها مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : قد كانت إحْدَاكُنَّ تمكثُ فى شر أحلاسها ، أو شر بيتها ، فإذا كان حَوْلٌ فمر كلب رمتْ ببعرة ، فلا ، حتى تمضى أربعة أشهر وعشراً .

أى أنها كانت تمضى حَوْلاً كاملاً فى بيتها بدون زينة ، تلبس شَرَّ ثيابها ، فإذا مضى الحول خرجتْ ورمت ببعرةٍ أول كلب يمر عليها ؛ لِتُرِىَ مِنْ حضَرَها من الناس أنَّ مقامها حولاً فى هذه الحالة أهون عليها من بعرة ترمى بها كَلْباً بالنسبة إلى فقيدها وما يستحقه من الحِدَادِ .

ويلزم الزوجة لزوم مسكن النكاح ـ أى الإقامة به ـ إلى آخر فترة الحداد ، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة .

فيجب على الزوجة السَّكَنُ فى منزل الزوج ، وقد استدلوا على ذلك بما رواه مالك أن الفُرَيْعَةَ بنت مالك جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها فى بنى خُدْرَة ؛ لأن زوجها قُتِلَ ، وأنه لم يتركها فى مسكن يملكه ، ولا نفقة ، فقال لها الرسول ﷺ : اُمْكُثِى فى بيتِكِ حتى يبلغ الكتابُ أجَلَه « قال : فاعتدت فيه أربعة أشهر وعَشْراً »(١) .

الحداد على غير الزوج :

إنَّ ما تفعله بعض الزوجات من المبالغة فى الحُزن والحِداد على وفاة أب أو أم أو أخ أو أخت ، وتنسى حق زوجها عليها ـ يخالف ما يوصى به الإسلام . فالإسلام يريد للحياة البشرية ألاَّ تتوقف بموت إنسان ، وأن علاقة المرأة الزوجية لا تلغى بُنُوَّتَهَا وأُخُوَّتَهَا ، ولكنها تتقدم عليها ، وبالتالى فإن رعاية الزوجة لمصالح زوجها وحقوقه مقدمة على رعايتها لمصالح أهلها وحقوقهم ، إذ الرابطة التى بينها وبين أفراد أسرتها هى

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ . وانظر : جامع العلوم والحِكَم للحافظ أبى الفرج المعروف بابن رجب الحنبلى . وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ج ٥ . و المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية لفضيلة المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف .

رابطة الدم، فى حين أن الرابطة التى بينها وبين زوجها هى رابطة عقد له حقوق تُؤْخَذ، والتزامات تُؤَدَّى للمحافظة عليه . فيجب على الزوجة فى حدادها على أحد أفراد أسرتها ألاَّ تَنْسَى حق زوجها عليها فى أن تكون خير زوجة له . وخير النساء هى ما يتحدث عنها رسول الله ﷺ بقوله : « التى تسرُّ زوجها إذا نَظَرَ ، وتطيعه إذا أمَرَ ، ولا تُخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره » .

وليس الحداد مدة من الزمن ، أو الامتناع عن الاستمتاع بمباهج الحياة فترة من الزمن ، بل المؤمنون هم الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] . إنَّا لله : أى إنه وحده هو الذى يتصرف فينا استسلاماً له .

وإنا إليه راجعون : أى فى آخرتنا .

فالاستسلام لله عند المصائب والتغلب على هواجس النفس بعدم الاستسلام إلى هواها هو موقف المؤمن بالله [2].

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ١٥٦ .

(٢) انظر : رأى الدين بين السائل والمجيب ، للدكتور محمد البَهِيّ .

obeikandl.com

الفصل الرابع

ما يجب على كل من الزوج والزوجة

أولاً : التواضع وعدم البغى :

من آداب الإسلام الحنيف العلاقة الطيبة بين الناس جميعاً ، وعدم الظلم والبغى ، والتواضع مع المجتمع عامة ، ومع الزوج لزوجته ، ومع الزوجة لزوجها خاصة . فيقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال النبى ﷺ :

« إن الله أَوْحَى إِلَىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يَبْغِىَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ، ولا يفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَد » (٢) .

وقال ﷺ :

« ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَر أَنْ يجعل الله لصاحبه العُقوبة فى الدنيا ـ مع ما يَدَّخِرُهُ له فى الآخِرَة ـ مِنَ البَغْى وقَطِيعَة الرَّحِم » (٣) .

وفى الأثر : لوْبَغَى جَبَلٌ على جَبَلٍ لجَعَلَ الله الباغِىَ منهما دَكًّا .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بَغَى على قومه . فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ إلى قوله تعالى

---

(١) سورة الشورى : الآية الثانية والأربعون .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه ، والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ (١) .

إنَّ من أحسن ما تتصف وتتحلى به الزوجة وأجمل ما يتصف ويتَحَلَّى به الزوجُ حُسن الخُلق . روى البيهقى بإسناده أن رسول الله ﷺ قال :

« إن الله قَسَمَ بينكم أخلاقكم كما قَسَم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يُعْطِى الدُّنيا مَنْ يُحب ومن لا يُحب . ولايُعْطِى الدِّينَ إلاَّ مَنْ يُحِب ، فَمَنْ أعطاه الله الدين فقد أحَبَّه . ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيُبَارك له فيه ، ولا يتصدق منه فيقبل منه ، ولا يتركه خَلْفَ ظَهْرِه إلا كان زَادَهُ إلى النار . إنَّ الله لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحَسَن » (٢) .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى :

« الكبرياءُ ردَائِى ، والعَظَمَةُ إزَارِى ، فَمَنْ نَازَعنى فيهما أَدْخَلْتُه نَارِى ولا أُبالِى » .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما

« إن للحَسَنَة نُوراً فى القلب ، وضياءً فى الوجه ، وقوة فى البدن ، وزيادة فى الرزق ، ومحبة فى قلوب الخلق . وإنَّ للسيئة سواداً فى الوجه ، وظُلمة فى القلب ، وَوَهَناً فى البدن ، ونقصاً فى الرزق ، وبغضة فى قلوب الخلق » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تَأْذَنَ فى بيت زوجها وهو كَارِهٌ ، ولا تخرج وهو كَارِه ، ولا تُطيع فيه أحداً ، ولا تعزل فراشه ، ولا تضر به ، فإنْ كان هو أظلم فلتأتِهِ حتى ترضيه ، فإنْ قَبِلَ منها فَبِهَا ونِعْمَتْ ، وقَبِلَ الله عُذرَهَا وأَفْلَحَ صُحْبَتَهَا ، فلا إثْمَ عليها ، وإنْ هو لم يَرْضَ فقد أبلغت عند الله عذرها » (٣) .

وقال : ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عَلَيْه :

---

(١) انظر : سورة القصص ، الآيات من ٧٦ ـ ٨١ .

(٢) عزاه فى الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود .

(٣) رواه الحكم وقال : صحيح الإسناد (الترغيب والترهيب ج ٣) .

البَغْى : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ (١) .

المَكْرُ : قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (٢) .

النَّكْثُ : قال تعالى : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (٣) .

ثانيًا : التوسط والاعتدال فى مطالب الحياة :

إنَّ الحياة التى تنبثق من تعاليم كتاب الله الكريم وسُنَّة رسوله ﷺ هى الموصوفة بالاعتدال والسَّداد ، حيث قال الله تعالى ـ وصفاً لِعباد الرَّحْمٰن : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٤) .

وقد وصف الله تعالى أمتنا الإسلامية بالتوسط والاعتدال ، فقال عز وجل :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٥) .

وكان رسول الله ﷺ المَثَلَ الكامل فى التوسُّط والاعتدال .

وقد وصف الله دين الإسلام بالاستقامة والاعتدال والبُعْد عن الإفراط والتفريط ، ونَعَتَهُ بلفظ « القَيِّم » ، فقال مخاطباً نبيه ﷺ :

﴿ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦)

---

(١) سورة يونس من الآية ٢٣ .

(٢) سورة فاطر ـ من الآية ٤٣ .

(٣) سورة الفتح ـ من الآية ١٠ .

(٤) سورة الفرقان ـ الآية ٦٧ .

(٥) سورة البقرة ـ من الآية ١٤٣ .

(٦) سورة الأنعام ـ من الآية ١٦١ .

وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ (٢) .

كما وصف الله تعالى كتابه الكريم بالقَيِّم ونَفَى عنه العِوَجَ والزَّيْغَ .

فقال تعالى في مُفْتَتَح سورة الكهف : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۜ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (٣)

ويقرر القرآن الكريم أن الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة وفرصة للعمل فيقول تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٤)

ويقول عز وجل : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (٥) .

ويقرر القرآن الكريم أن الآخرة خير وأبقى فيقول عز وجل :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

ويذم القرآن الكريم ويُشَنِّعُ على من يُؤثر الحياة الدنيا الفانية على الآخِرة الباقية الخالدة فيقول عز وجل :

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية ٣٦ .
(٢) سورة الروم ـ من الآية ٤٣ .
(٣) سورة الكهف ـ الآيات من ١ ـ ٣ .
(٤) سورة الكهف ـ الآية ٧ .
(٥) سورة الملك ـ الآية ٢ .
(٦) سورة الأنعام ـ الآية ٣٢ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(١) .

ويقول تعالى أيضاً : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢) .

ويمدح القرآن الكريم من يجمع بين الحياة الدنيا وبين الآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا فيقول عز وجل :

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٣) .

إن نظرة القرآن الكريم هذه إلى الحياة الدنيا ليس معناها الرهبانية ، فلا رهبانية فى الإسلام ، ولكن معناها التغلب على الشهوات الفانية ، والمظاهر الكاذبة ، وابتغاء رضوان الله فى كل أمور حياتنا . فالله سبحانه وتعالى أَحَلَّ لنا الطيبات للاستمتاع بها فيما أحَلَّ الله ، ويأمرنا عز وجل أن نأكل من طيبات مارزقنا ، وأن نُنفق من طيبات ماكسبنا ، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ويقول تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٤)

---

(١) سورة يونس ـ الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة هود ـ الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة البقرة عجز الآية ٢٠٠ ، الآية ٢٠١ .

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ٣٢ .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ (١) .

ويقول عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٢) .

إن هذا المنهج الكريم هو منهج التوسط والاعتدال الذى أتى به الدين الحنيف ، إنه منهج لم يحمل أصحابه على العيش فى عزلة عن الحياة ، ولم يحملهم على رفض أسباب المعيشة ، وإنما يحملهم على الاعتدال فى هذه الحياة الدنيا ، والحرص على الآخرة فى الوقت نفسه ، وابتغاء رضوان الله عز وجل .

هذا هو المنهج الذى يجب أن يلتزم به كل إنسان مسلم ، وكل امرأة مسلمة فى نظرتها إلى الحياة الدنيا ، وبذلك يسعدون فى حياتهم الدنيا ، وينالون رضا الله تعالى فى آخرتهم .

إن الطريق إلى العِزَّة والغِنَى والقوة ليس هو إشباع رغبات الإنسان المادية من منصبٍ ومالٍ ، وجاه ، وتَرَفٍ ونعيم ، وإنما هو بإشباع المنهج الذى خطه لنا رسولنا الكريم ﷺ حيث يقول فى حديث شريف :

« مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعَزَّ الناس فليتق الله » .

« ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فليكُن بما عند الله أَوْثَقَ مِمَّا فى يده » .

« ومَنْ سَرَّهُ أَنْ يكون أقْوَى الناسِ فليتوكَّل على الله » .

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية ٢٦٧ .

هذا هو طريق العز والغنى والقوة : تقوى الله ، والثقة به ، والتوكل عليه سبحانه وتعالى جل شأنه . إنَّ الحِرْصَ على الدنيا عَدَّهُ رسول الله ﷺ من الشقاء : رَوَى أَنَسٌ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة من الشقاء : جُمودُ العَيْن . وقَسْوَةُ القلب . وطُول الأمل . والحِرْصُ على الدنيا » (١) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ أَخَذَ من الدنيا من الحلال حاسَبَهُ الله ، ومن أخَذَ من الدنيا من الحَرَامِ عَذَّبه الله ، أُفٍّ للدنيا وما فيها من البَلِيَّاتِ ، حَلالُها حسابٌ وحرامها عَذاب » .

إن قمة السعادة والرضا يوضحها لنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، حيث يقول فى حديث شريف : « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فى سِرْبِه ، مُعَافًى فى بدنه ، عنده قوتُ يومه ، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها » .

وفى حديث قدسى يقول الله تعالى : « يا دُنيا مَنْ خَدَمَكِ فاسْتَخْدِمِية ، ومَنِ اسْتَخْدَمَكِ فاخدميه » أى : من استخدم الدنيا فى طاعة الله والتقرب من الله عز وجل . فعلى الدنيا أن تأتى إليه طواعية وتخدمه .

ويقول الشاعر الحكيم :

عَزيزُ النَّفْسِ مِنْ لَزِمَ القَناعَـهْ ... ولـم يَكْشفْ لِمَخْلُوقٍ قِناعَـهْ

أفادَتْنَا القناعَةُ كُـلَّ عِـزٍّ ... وهَـلْ عِزٌ أَعَزُّ مـن القَناعَـهْ

فَصيِّرْهَـا لِنَفْسِكَ رأسَ مَـالٍ ... وصَيِّرْ بَعْدَها التقوَى بِضَاعَـهْ

أيتها الفتاة المسلمة :

تنعم المَعِدَةُ بالشَّرْبَةِ والُّلقمة ، كما يَنْعَمُ القلبُ بالنشوة والنعمة ، وتنعم العين بالنظرة ، واليد باللمسة ، والأذُنُ بالهمسة والصَّوْتِ النَّدِىِّ الشَّجِىَّ ، وكل هذا سَنُسْأَلُ عنه يوم القيامة . وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « لا تَزُولُ قَدَمَا عبدٍ يوم

---

(١) رواه البزار .

القيامةَ حتى يُسْأَلَ عن أربع : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عُمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وعن علمه ماذا عَمِلَ فيه » .

أيتها الفتاة المسلمة :

لوُ رزِقَ الإنسانُ القناعَة لاسْتَوَى عنده تِبْرُها وتُرابها ، وارتقَى إلى مقام الرضا بالبلاء كما يرضى بالنعمة ، فالله سائِلُنَا عن شَبابناَ وعُمرنا ، والزمن الذى نعيشُ فيه ، ويفسرُ البعضُ قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ بالزمن المفتوح ، يُقسم به الله تعالى ، فنحن بين يدى الله وفى رحابه ، وعلى عاتقنا مسئولية تلك اللحظات من الليل والنهار ، مِنَ السَّحَرِ والأصِيل ، من الضُّحَى والظَّهِيرَة ، يسألنا الله عن كل لحظة من أوقاتنا .

أيتها الفتاة المسلمة :

لا تكونى من الغافلين الذين حدد الله سبحانه علاماتهم وأماراتهم فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (١) .

وهذا إنذار وتهديد مباشر من القوِىِّ الجبار ، فإن الغفلة داء إذا أُصِيبَ به الإنسان تَمَلَّكَه الشيطان ، وكان مصدر وحيه وإلهامه ، وجرى منه الشيطان مَجْرَى الدم من العروق . ولنذكر دائماً قول الرسول ﷺ : « يا بْنَ آدم ، هل لك إلاَّ ما أَكَلْتَ فأَفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فأبلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْتَ فأبقيت » صدق الرسول الكريم .

ورضى الله عن الحَسَنِ بن علىٍّ حيث يقول :

« حُسْنُ السؤال نصف العِلْم ، ومداراة الناس نصفُ العَقْل ، والقصد فى المعيشة نِصْفُ المئونة » .

ومن نصائح الإمام الشافعى رحمه الله : الفقر والزهد محلهما القلب ، فإنَّ ردَاءَك ما سَتَرَكَ ، وطعامَكَ ما أشْبَعَكَ ، ومَا لَكَ مالَكَ مِنْهُ شىء .

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٩ .

وإنَّ الضَلالَ كله أن يحب الناس خمساً وينسون خمساً :

« يحبون المخلوق وينسون الخالق ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون القصور وينسون القبور ، ويحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة » .

ويقول الشاعر الحكيم :

إذا كُنْتَ فى نعمةٍ فَارْعَهَا ... فإنَّ المَعاصى تُزِيلُ النِّعَمْ

وحافظْ عليها بِشُكْرِ الإلٰهِ ... فـإنَّ الإلٰه سَرِيعُ النِّقَمْ

يا بْنَ آدم ،

يا مـن بدنيـاه اشتغـل ... وغَـرَّهُ طُـولُ الأمَـل

المـوت يـأتـى بغتـة ... والقبر صندوق العمل

ورَحِمَ الله الإمامَ علىَّ بن أبى طالب الذى قال عندما سُئِلَ عن وصف الدنيا : كيف أصِفُ دارًا مِنْ صَحَّ فيها سَقِمَ ، ومِنْ أَمِنَ فيها نِدَمَ ، ومَنِ اغتنى فيها فُتِنَ ، ومن افْتَقَر فيها حَزِنَ ، فهى إنْ أَقْبَلَتْ أَدْبَرَتْ ، وإنْ حَلَتْ أوْ حَلَتْ ، وإنْ كَسَتْ أوْكَسَتْ ، وإنْ دَنَتْ دَنَت ، فى حلالها حسابٌ ، وفى حَرامِها عِقَاب ، وفى مُتشابِهِهَا عِتَاب ، فَخُذوا حِذْرَكُم يا أولِى الألباب .

وقد يكون مِنْ غضب الله على القوم الغافلين أن يَفْتَحَ عليهم مُخْتَلف أبواب الرزق من مال وبنين وصحة وجاه حتى يغتروا ، فالله تعالى يقول

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (١) .

فقد يكون رِزْقُ العاصِى أكْثَرَ من رزق المؤمن بالله المتفانى فى عبادته ، ولكن ذلك ليس دليلاً على رضاء الله على العاصى وعدم رضاه عن المؤمن ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام - الآية ٤٤ .

(٢) سورة الإسراء - من الآية ٢١ .

إن مقياس الرضا هو جزاء الآخرة وحده ، وهو جزاء أعظم فى درجته ، وأكبر فى فضله [1] .

فعلينا أن نتنبه ولا نغتر بنعم الله علينا ، نسأل الله دائماً قائلين : « اللهم اجعلها نِعْمَةً ولا تجعلها نقمة ، اللهم اجعلها رحمة منك وحناناً ، ولا تستدرجنا من حيث لا نعلم ، يارب العالمين . اللهم لا تجعل الدنيا أكبر هَمِّنَا ولا مبلغ عِلْمِنَا ، آمين يا رحمٰن ، يا رحيم » .

(١) رأى الدين بين السائل والمجيب للدكتور البهى .

obeikandl.com